مفردات مادة تاريخ العصور الوسطى الاوربية السياسي (الكورس الاول)

١ـ اصطلاح العصر الوسيط.
٢ـ عوامل قوة وتوسع الامبراطورية الرومانية.
٣ـ قبائل الجرمان والهون.
٤ـ اصولها وتحركاتها واثرها في الامراطورية الرومانية.
٥ـ قبائل الهون.
٦ـ قبائل القوط الغربيون.
٧ـ نهاية الامبراطورية الرومانية في الغرب ٤٧٦م.
٨ـ نظريات في سقوط الامبراطورية الرومانية

الامبراطورية الكارولنجية:

١ـ مظاهر ضعف ملوك الفرنجة.
٢ـ حروب شارلمان ضد المسلمين.
٣ـ حروب شارلمان ضد المدن الايطالية.
٤ـ اصلاحات شارلمان وسياسته الخارجية.
٥ـ عوامل تدهور وزوال المبراطورية الكارولنجية.
٦ـ معاهدة فردان٨٤٣م.

_ نمو الدول الاوربيه الرئيسه بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر:

١ـ انكلترا (نتائج الفتح النورماندي وتطور الاجهزه الادارية والقضائية في القرن الثالث عشر. وثيقة الماكناكارتا سنة ١٢١٥م . تدهور المؤسسات الاقطاعية ونمو البرلمان في انكلترا، حرب الوردتين (١٤٥٣ـ ١٤٨٥م).
٢ـ فرنسا (حكم اسرة ال كابيه في فرنسا وابرز ملوكها، حرب المائة عام (١٣٣٧ـ ١٤٥٣م)
٣ـ المانيا (حكم ارنولف٨٨٧ـ٨٩٩م)، لويس الطفل، هنري الاول (الصياد)، اوتو الاول العظيم بعد عام ١٢٥٠م.

مدخل

الحضارة الاوربية في العصور الوسطى

بداية العصور الوسطى ونهايتها:

أطلق المؤرخون الاوربيون مصطلح (العصور الوسطى) على العصور التاريخية التي عاشتها اوربا منذ بداية القرن الرابع الميلادي حتى نهاية القرن الخامس عشر (٣٠٠-١٥٠٠) وحاول بعض المؤرخين تحديد بداية العصور الوسطى بسنة معينة جرت فيها احداث مهمة، كاعتراف الامبراطور قسطنطين الاول بالمسيحية في سنة٣١٣. او في نقله العاصمة من روما الى القسطنطينية في سنة ٣٣٠. او في تقسيم حكم الامبراطورية بين ولدي الامبراطور تيودوسيوس الول ـ اركاديوس واونوريوس ـــ في سنة ٣٩٥ او بسقوط عرش روما بيد ادواكر زعيم العناصر البربرية المرتزقة في الجيش الروماني في سنة ٤٧٦.

فسر تاريخيا اختلاف المؤرخين في تحديد نهاية العصور الوسطى الاوربية؟

كذلك حاول بعض المؤرخين تحديد نهاية العصور الوسطى بسنة معينة جرت فيها احداث مهمة كسقوط القسطنطينية بايدي الاتراك العثمانيين في سنة ١٤٥٣، او انتهاء حرب المائة عام بين فرنسا و انكلترا في سنة ١٤٥٣، او اكتشاف امريكا في سنة ١٤٩٢، او غيرها من الاحداث التاريخية المهمة.

ان تحديد بداية عصر تاريخي او نهايته بسنة معينة امر فيه مبالغة، لان التاريخ وحدة متكاملة لا تنقسم كهذا التقسيم الالي، كما ان العصورالتاريخية متداخلة بعضها في بعض. فالتحولات التاريخيه لا تتم بنطاق سنين معينة، وانما تحتاج الى فترة زمنية طويلة قد تشمل بضعة قرون، كما ان بعض معالم العصر السابق قد تظل سائدة في العصر اللاحق مدة طويلة جدا.

واذا كنا لا نسلم بتحديد سنه معينة لبداية العصور الوسطى في أوربا، فاننا نوافق على عد فترة القرنين الرابع والخامس الميلاديين بدايه لتلك العصور. حيث جرت في تلك الفتره تطورات جذريه في النواحي: السياسيه، والاقتصادية، والاجتماعيه، والفكريه.

الناحية السياسيه:

في القرنين الرابع والخامس سقطت اراضي الامبراطورية الرومانية بايدي البرابره الجرمانيين، الذين شكلوا فيها ممالك عديدة: كمملكة الفرنجه، ومملكة القوط الغربيين، ومملكة القوط الشرقيين، ومملكة الوندال وغيرها. وهكذا حلت الكثره في مكان الوحدة اذ قامت الدول المتعدده في مكان الامبراطورية الواحدة. كذلك نقلت العاصمه الرومانية من روما الى القسطنطينية (في سنة ٣٣٠) وصار نظام الحكم في (بيزنطة) امبراطوريا وراثيا. وفي سنة ٤٧٦ سقط عرش روما بايدي البرابرة، فلم يجلس على ذلك العرش امبراطور روماني بعد ذلك التاريخ، وانما انتقلت السلطه السياسية والدينية في روما الى البابا (اسقف روما).

الناحية الاقتصادية و الاجتماعية:

القديمة. في القرنين الرابع والخامس لم يعد العبيد يشكلون الطبقة الرئيسة التي تعمل في الزراعة والصناعة. كما كانت حالهم في القرنين الاول والثاني الميلاديين. لقد تناقص عدد العبيد نتيجة توقف الحروب الرومانية التوسعية. بالاضافة الى ذلك دفعت قلة مردود عمل العبيد كبار ملاكي الاراضي (البترون) الى توزيع اراضيهم الواسعة على عبيدهم ليعملوا بها بصفة كولون (معمر او فلاح مرتبط بالارض) مقابل الحصول على حصة من إنتاجها. وهكذا ساد النظام الكولوني في العلاقات الزراعية، بعد ان كان يسود نظام العبودية في العصور

وقد تطور النظام الكولوني الى النظام الاقطاعي الذي ساد في اوروبا في العصور الوسطى. وقام الاقتصاد الزراعي في النظام الاقطاعي على استغلال طبقة اقنان الارض. وبدءا من القرن الرابع أخذت مدن اوروبا الغربية بالتدهور بنتيجة الغارات البربرية وتعطل الصناعة والتجاره. وتدريجيا ساد الاقتصاد الزراعي المغلق في اوروبا الغربية حتى المرحلة الاخيرة

من العصور الوسطى (١٣٠٠-١٥٠٠) ميلادي، حتى نشأة مدن جديدة ذات طابع صناعي-تجاري.

الناحية الفكرية:

سادت في الامبراطورية الرومانية القديمة الديانة الوثنية القائمة على عبادة الهة عديدة وتقديس الامبراطور. أما في بداية القرن الرابع الميلادي فقد اعترفت السلطات الرومانية بالديانة المسيحية القائمة على عبادة اله واحد، ثم صارت المسيحية ديانة رسمية للامبرارطورية البيزنطية في نهاية ذلك القرن. كذلك انتشرت المسيحية في اوروبا الغربية وصارت تدريجا الديانة الوحيدة لجميع شعوب اوروبا. وقد طبعت التعاليم المسيحية بطابعها الحياة السياسية والفكرية والفنية وغيرها من المظاهر الحضارية.

كذلك نوافق على عد فترة القرنين الرابع والخامس عشر نهاية للعصور الوسطى في اوروبا. لان صورة العالم الاوربي التي ارتسمت خلال المرحلة الاولى والثانية من العصور الوسطى (٣٠٠-١٠٠٠-١٣٠٠) تبدلت ملامحها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية في تلك المرحلة.. اي في المرحلة الثالثة والاخيرة من العصور الوسطى (١٣٠٠-١٥٠٠) ميلادي.

الناحية السياسية:

ادى سقوط القسطنطينية بيد الاتراك العثمانيين في سنة (١٤٥٣) الى زوال امبراطورية اوروبية مسيحية. فحلت في مكانها امبراطوية اسيويه اسلامية. تختلف عن سالفتها بنظمها وتقاليدها وعقائدها. كذلك ادت حرب المائة عام بين فرنسا وانكلترا الى نشوء حركه قومية في كل من البلدين. ما لبثت ان انتشرت في البلدان الاوروبيه الاخرى. مما ادى الى تشكل دول قومية عديدة. وتغلب فكرة تعدد الممالك القوميه على فكرة الوحدة الامبراطورية. بعد ان سئم العالم الاوروبي من البحث عن وحدة لا يمكن تحقيقها.

الناحيه الاقتصادية – الاجتماعية:

اصطلاح ((العصور الوسطى في القرنين الرابع عشر والخامس عشر ارتسمت صورة جديده للعلاقات الاقتصاديه -الاجتماعيه،أذ انقلب الزراعي والاكتفائي المغلق (الذي ساد في المرحلتين الاولى والثانيه مِـنْ العصور الوسطى ٣٠٠-١٣٠٠)اقتصادا صناعيا - تجاريا ينزع إلى الرأسماليه والمبادله السائده . واسهم في تطور الاقتصاد الصناعي -التجاري اكتشاف الطرق البحريه المؤديه الى امريكا والهند والصين - . الناحيه الفكريه :في المرحلتين

الاولى والثانيه مِـنْ العصور الوسطى (٣٠٠-١٠٠٠-١٣٠٠)احتكرت الكنيسه المسيحيه الثقافه الاوربيه ، فحاربت المفاهيم العلميه والافكار الحره التقدميه ، التي تتعارض مع مصالح الطبقه الاقطاعيه . اما في القرنين الرابع عشر والخامس عشر فقد دحرت الكنيسه المسيحيه امام الافكار العلميه في المجالات السياسيه والفكريه والفنيه والاقتصاديه .لقد قامت الحركه الانسانيه ببعث الثقافه الكلاسيكيه (اليونانيه والرومانيه)،كما شرع الادباء والفلاسفه والعلماء يهاجمون الافكار الدينيه الرجعيه وليدة العلاقات الاقطاعيه .كذلك اخذت الات الطباعه تنشر الافكار الجديده التقدميه وليدة العلاقات البرجوازيه. وتلك الملامح الحضاريه تنم عن ولادة عصور تاريخيه جديده وهي العصور الاوربيه . مِـتـ ؟؟! ـى ظهر ر الوسطى)) لماذا ؟ :اول مِـنْ استعمل مصطلح العصر الوسيط هم الادباء الانسانيون والايطاليون في القرن الخامس عشر والسادس عشر ،ثم شاع مَـنْـذآ الاصطلاح حتى الوقت الحاضر .لقد كان الانسانيون الايطاليون ، وبخاصه بترارك ،معجبين جدا بثقافه الاكلاسيكيه (اليونانيه والرومانيه)،فعملوا علـّـئ علـّـئ احياء تلك الثقافه .كذلك اطلقوا علـّـئ العصر الذي عاشو فِيَه اسم :((عصر النهضه)) ،لانه امتاز ببعث التراث الكلاسيكي القديم .اما المرحله التاريخيه

الممتده منذ سقوط عرش روما بأيدي البرابره (في سنة ٤٧٦)حتى عصر النهضه،فكانوا يعدونها مرحله تأخر ونحطاط،سادت خلالها حضارة بربريه باهته، وضمت فيها معالم الحضاره الكلاسيكيه الرائعه.وعلى ذلك كانت العصور الوسطى ،برأيهم ،((عصورا مظلمه)) ومتخلفه في شتى المجالات .لَـكِنْ تلك النظره القاتمه الى العصور الوسطى اخذت تتبدل مع الزمن في اعين بعض المفكرين الاوربيين، الذين تلمسوا في تلك العصور حضاره جديده مبتكره ، واخذوا يظهرون ويوضحون ملامح صورتها الحضاريه للقراء والباحثين . وسنحاول بدورنا توضيح الملامح الحضاريه للعصور الوسطى الاوروبيه بحوث مَـنْـذآ الكتاب.

مراحل العصور الوسطى :لم يمر عالم العصور الوسطى في اوروبا علـّـئ وتيره واحده،ولا يمكننا القول ان الناس الذين عاشو في تلك المرحله التاريخيه الطويله (الممتده بين سنتي ٣٠٠-١٥٠٠)قد ساروا علـّـئ نظام واحد لقد كانت أحوال هؤلاء الناس تتطور تدريجيا،وتتبدل مع مرور الزمن .وعلى ذلك قسم بعض المؤرخين تاريخ العصور الوسطى الى ثلاث مراحل رئيسيه،لكل منها مايميزها عن غيرها ،مع بعض التجاوز في الزمان والمكان- . المرحله الاولى :وهي المرحله التي امتدت سبعة قرون-منذ بدايه القرن الرابع حتى نهاية القرن العاشر (٣٠٠-١٠٠٠)-.ففي تلك المرحله قضي البرابره الجرمان علـّـئ الامبراطوريه الرومانيه في الغرب الاوربي ، كما قضوا علـّـئ نظمها وحضارتها وتقاليدها ،ثم اقاموا علـّـئ انقاضها ممالك جرمانيه جديده لـهآ انظمه خاصه وحضاره مغايره . وبذلك الحدث الكبير تنطوي صفحة التاريخ القديم،ويبدأ عصر جديد في تاريخ أوروبا هو العصر الوسيط . لَـكِنْ

بداية ذلك العصر كانت سيئه في وسط الفوضى التي اثارتها الغزوات البربريه المدمره في انحاء الغرب الاوروبي كافه . وعلى ذلك قال المؤرخ إدوارد جيبون:انه كان في حكم المستحيل ان تحرز
الانسانيه أي تقدم في ذلك العهد المظطرب،كذلك اطلق المؤرخ: و -ب -كير على القرون الأولى من العصور الوسطى اسم :«العصور المظلمه »ويأخذ بهذا الرأي كثير من المؤرخين المعنيين بتارخ تلك المرحله من تاريخ اوربا . ففي تلك المرحله انطفأت شعلة الحضاره الرومانيه القديمه الزاهرة ،اذ سحب نور العلم والمعرفة،وأحاطه بالحياة الفكريه ظلام كثيف يتظله بصيص من شعاع خافت يحتوي بقايا تراث لاتيني ذابل ،كان للكنيسه الرومانيه الغربيه دور في الا بقاء عليه داخل جدرانها ،خدمة لأهدافها الدينيه فحسب .ومع ذلك فقد خلف لنا ذلك البصيص عددا من آباء الكنيسه الأول ،الذي تكشف مؤلفاتهم عن سمات الثقافه التي ارتبطت بالمسيحيه وفلسفتها ،وبالكنيسه وتعاليمها في ذلك العصر المبكره. استمرت حالة الظلام الفكري طوال القرون الخمسه الاولى من العصور الوسطى. ولكن في بداية القرن الثامن ظهرت نهضه فكريه مبكرة متواضعة في أيرلنده وأنكلترا ارتبطت بشخصين هما :(بيده والكوين)أكثر من ارتباطها بالعصر. وفي بداية القرن التاسع ظهرت نهضة فكريه أخرى ارتبطت بأمبراطور الفرنجه الكرلونجيه شارلمان . لكن تلك النهضه اخذت تنحسر في عهد خلفائه ،بسبب أنقسام امبراطوريته الى ممالك وأمارات متصارعة فيما بينها. ومع ذلك كله ،فقد تمت في المرحله الاولى من العصور الوسطى (١٠٠٠-٣٠٠) عملية انصهار الحضارة الرومانيه القديمه وتمازجها مع حضارات الشعوب الجرمانيه ،التي تدفقت على اوربا الغربية واستوطنت فيها ،بجانب العناصر الرومانية وغيرها من الشعوب القديمه.

-المرحله الثانيه :. امتدت تلك المرحلة ثلاثة قرون -منذ بداية القرن الحادي عشر حتى نهاية القرن الثالث عشر(١٣٠٠-١٠٠٠) - في تلك المرحلة جرت الحروب «الصليبية»الاستعمارية التي شنتها أوربا الغربيه بزعامة البابوية على المشرق

العربي والأسلامي .كذلك نما فيها ورسخ النظام الاقطاعي ونظام الفروسيه.وفي القرن الحادي عشر بدأالفكر. الأوربي ينطلق من عقاله ،محاولا الخروج من دائرة الجمود الفكري المغلقة التي عاش أسيرا فيها قرونا عديدة . وكانت النتائج طيبة تمثلت بظهور الفكر الحر والفلسفه المدرسية،مما هيأ الاوضاع لظهور نهضة القرن الثاني عشر المعرفة بالنهضة العلمية الأولى. وقد دعارواد تلك النهضة ،وبخاصة أبيلارد ،الى تحرير الفكر والعودة الى التراث الكلاسيكي القديم (اليوناني والروماني).وبنتيجة الجهود العلمية المستمرة نشأت الجامعات لتقوم بدور بارز في نقل الغرب الأوربي من عصر الجهل والظلام ،إلى عصر العلم والنور ،الذي وضحت معالمه في عصر النهضة القادمة -أي في القرنين الخامس عشر والسادس

عشر . وتلك النهضة مهدت الطريق للعصر الحديث ومدنه الزاهرة. لكن الكنيسه البابوية وجدت في نهضة القرن الثاني عشر الفكرية والمذاهب الفلسفيه الجديدة خطرا يهدد كيانها ،ولذا قاومتها بجميع الوسائل ،بما في ذلك أسلحتها التقليدية ،اذ أخذت تضم كل من يخرج على تعاليمها بالهرطقة وتوقع عليه قرار الجرمان. وكان على رأس هؤلاء «الهراطقة »الفيلسوف (ابيلارد)وتلميذة «اللومبارديي». يتضح مما تقدم ان اوربا في المرحلة الثانيه من العصور الوسطى (١٣٠٠-١٠٠٠) قد دخلت مرحلة التكوين ،وأن حضارتها بدات تأخذ شكلا متميزا يختلف عن المرحلة الاولى. -الْمُرَحَلة الْثَّالُثَّة : تنحصر تلك المرحلة في القرنين الرابع عشر والخامس عشر (١٥٠٠-١٣٠٠) .في تلك المرحلة تغير تفكير الناس في قضايا عديدة : فبالنسبه لنظام الحكم ،أخذت شعوب أوربا تنظر الى الملك على انه راس الدوله ،بعد أن كان رأس الاقطاع ،كما طالبته بتحديد سلطانه، مما ادى

إلى ظهور البرلمانات . كذلك أخذت تلك الشعوب تهتم بأمور دولها القومية، وزالت الأفكار القديمة التي كانت تنظر إلى أوربا كدولة واحدة يحكمها إمبراطور واحد وكنيسة واحدة بزعامة البابوية .ومما يؤكد تفكك الوحدة الأوربية استخدم اللغات الوطنية المحلية في الكتابة والتعليم ، بعد أن ظلت اللاتنية قروناً عديدة اللغة الوحيدة في العلم والمعرفة .أما بالنسبة للقضايا الدينية، فقد خاضت الكنيسة البابوية في المرحلة الثانية من العصور الوسطى (١٠٠٠-١٣٠٠) صراعاً مريراً مع أباطرة الامبراطورية الرومانية المقدسة التي ضمت ألمانيا وإيطاليا ،بسبب محاولة كل من السلطتين الدينية والدنيوية إعلاً شأنها على حساب الأخرى. وعلى الرغم من أن البابوية حققت بعض الانتصارات على السلطة الامبراطورية الزمنية، إلا أن تلك النتصاروت كانت تحمل بين طياتها بذور التدهور والخذلان ، إذ خرجت البابوية على رسالتها الروحية في محاولتها فرض سيادتها على الأمرإ و الأباطرة والملوك ، فأثارت بذلك الشكوك حول قدسيتها ، وبدأ الناس ينقضون من حولها . وعلى ذلك تزعزع مركز البابا والكنيسة البابوية في المرحلة الثالثة ولأخيرة من العصور الوسطى (١٣٠٠-١٥٠٠) ، كما هاجمها الناس في مواضع عديدة ، وهذا ما لم يكن مألوفا في المرحلة السابقة .ومن الناحية الاقتصادية ـ الاجتماعية ،أخذ النظام الاقطاعي بالزوال في المرحلة الأخيرة من العصور الوسطى ، في حين تطورت المدن الصناعية ـ التجارية ، وتشكلت الطبقة البورجوازية، التي صار لها الدور الأول في الحياة الاقتصادية والساسية . ومما ساعد على تطور الاقتصاد الصناعي ـ التجاري اكشاف الطرق البحرية المؤدية إلى أمريكا والهند والصين.

الباب الأول المحاضرة الاولى

الامبراطورية الرومانية

يبدا المدخل الطبيعي لدراسة تاريخ أوربا في العصور الوسطى باستعراض أحوال الامبراطورية الرومانية في أقصى مراحل قوتها وعظمتها . وليس معنى هذا أن تاريخ أوربا في العصور الوسطى يبدا بداية دقيقة من هذه المرحلة ، وانما نستهدف من هذا العرض أن يساعدنا على فهم الأسس والعوامل التي كيفت التاريخ الأوربي في العصور الوسطى(١ .(هذا الى أن حضارة أوربا في العصور الوسطى ليست في حقيقة أمرها الامزيجا من حضارة الرومان من جهة وحضارة العناصر البربرية التي اجتازت حدود الامبراطورية الرومانية واستقرت داخل أراضيها واختلطت بأهلها من جهة أخرى(٢ .(والواقع أن الامبراطورية الرومانية كانت أعظم وحدة حضارية وسياسية عرفها التاريخ ، اذ لم يقدر الامبراطورية أخرى في تاريخ البشر القديم أو الحديث أن تبلغ ما بلغته الامبراطورية الرومانية من قوة واتساع . ذلك أن هذه الامبراطورية ضمت بين حدودها جميع مراكز الحضارات القديمة- باستثنإ فارس والهند - وذلك عندما بلغت أقصى اتساعها على عهد الامبراطور تراجان(٩٨- ١١٧ .(3) (وقد امتدت الامبراطورية الرومانية عندئذ من المحيط الأطلسي غربا حتى الفرات شرقا، فشملت في الغرب البلاد المعرفة بأسمإ برطانيا وغاليا وايبريا وايطاليا واليريا فضلا عن شمال أفريقية من المحيط الأطلسي حتى طرابلس ، في حين شمال الجزء الشرقي من الامبراطورية

البلقان واسيا الصغربواعلى بلاد النهرين فصلا عن الشام ومصر وبرفه هذا مع ملاحظه ان نفوذ روما امتد بعيد الى ما وراء حدودها السياسيه حتى بلغ فارس والهند وتطوق الى النوبه والسودان ونفذ الى جوف الصحراء الكبرى عبر جبال اطلس كما بلغ الشعوب الجرمانيه الضاربه في مجاهل اوربا شرق الراين وشمال الدانوب. وترجع عظمه الامبراطوريه الرومانيه الى ان السلطه المركزيه فيها ستطاعت ان تحكم شيطرتها على هذا المساحات الجغرافيه المترامیه الاطراف وعلى تلك الشعوب والامم المتباينه الاصول والحضارات الامر الذي تطلب من الحكومه الرومانيه اصدار قوانين وتشريعات تناسب ذالك العدد الضخم من الشعوب الذي اختلفت بعضها عن بعض في تراثها التاريخي وحضاراتها والغاتها ودياناتها وليس هذا وحده هو مصدر عظمت الامبراطوريه المثار الاعجاب بها وانما تبدو هذا الاعظمه واضحه جليه في مقدره الامبراطوريه الرومانيه على استيعاب الشعوب العريقه ذات حضارات قديمه كلمصريين واليونانيين جنبآ الى جنب مع شعوب اخرى حديثه المولد ومازالت في فجر تاريخها مثل الغالبين الرومان .وهنا نلاحظ ان متداد الامبراطوريه الرومانيه على شواطئ البحر المتوسط جعل من هذا البحر شريانآ رئيسيآ يربط بين مختللها جزائها في حين ساعدت الانهار الداخليه على الربط بين اطراف الولايات هذا فضلا عن الطرق المعبده التي اشتهرت

بها حضارت الرومان والتي اقامو منها شبكه واسعه مترامیه ليس لها نظير في التاريخ.وكانت الامبراطوريه في ازها عصورها وهي الفتره الواقعه بين قيا اغسطس سنه ٢٧ق.م. ووفاة ماركوس اورليوس ١٨٠م تمثل بناء اجتماعات سليمامترابط البنيان.وذالك انها كانت في نظر الطبقات العليا تعبر عن نظام اداري امتاز بالكفايه والدقه في حين اعتقد الطبقات الدنيا ان الحكومه الرومانيه تقوم بحمايه الممتلكات والارواح في ظل قانون عادل دون ان تحل التدخل في حياة الناس اليوميه او تعمل على تغيير لغاتهم او معتقداتهم او نظمهم الاجتماعيه.

اما عن طابع الحكومه الرومانيه في أوائل عصر الامبراطوريه اي حتى الاصلاحات العظيمه التي ادخلها دقلديانوس في اواخر القرن الثالث ـ فلاحظ ان هذا الحكومه كانت ملكيه مع احتفاضها بكثير من مضاهر العصر الجمهوري السابق، اوربما كان من لادق القول بأنها ظلت جمهوريه مع ظهور رأس للدوله وللجيش الروماني،يتمتع بمنصبه طوال حياته.وهكذا ظل السناتو يباشر سلطاته الواسعه،واستمرت المناصب العليا في الدوله بأيدي الاستقراطيه من كبار ملاك الاراضي،كما بقىالمواطنون الرومان يمثلو طبقه ممتازه وان فقدوا كثيرا من اهميتهم السياسيه.ولذلك يبدو من الخطأ ان ننظر الى هذه الحكومه على انها كانت عسكريه بحته او استبداديه مطلقه.حقيقه انها لم تكن ملكيه دستوريه ، ولكنها امتازت ـ ولا سيما في العصر الاول للمبراطوريه بسيادة العرف والتقاليد والقانون، كما تمسكت بكثير من مضاهر العصر الجمهوري مما أكسب الحكومه الرومانيه عندئذ مظهرا دستورياً واضحاً. والواقع ان النظام السياسي الذي وضعه أوغسطس(٢٧ق.م ـ ١٤م) يعتبر حلا وسطا بين النظامين الملكي الاستبدادي والجمهوري الدستوري. ذلك انه كان امام اوغسطس ان يختار بين نظامين الحكم، الاول نظام قصير الذي قام على اساس حكم عسكري اعترف فيه جميع الناس ـ سواء في ايطاليا او الولايات ـ بالطباعه العمياء لسيدهم الاعلى ، والثاني نظام الحكم الجمهوري الذي يقر اهميه المواطنين الرومان في ايطاليا والولايات الى جانب الاعتراف بسلطه قائد القوات المسلحه في الدوله. وهنا لجأ او غسطس الى التوفيق بين النظامين ، اي بين الزعامه العسكريه التي ورثها عن اسلافه والتي اضحت ضروريه للمحافظه على سلامه الامبراطوريه وامنها وصالحها العام، وبين رغبه المواطنين الرومان في احتفاظ بمكانتهم الممتازه ـ على الاقل في الميادين الاجتماعي والاقتصادي ، ان لم يكن في الميدان السياسي .وهكذا نبذ اوغسطس حكم قصير المطلق ولكنه ركز في يد الامبراطور معظم السلطات التي اعتاد ان يباشرها كبار الموظفين في العصر الجمهوري ، وبخاصه القياده الحربيه التي انتقلت من ايدي القناصل الى يد الامبراطور. واذا كان السناتو قد ظل محتفظا بهيبه ومكانته القديمه في ظل النظام الجديد، الا ان سلطاتهه التشريعيه والقضائيه والاداريه تناقضت بصوره واضحه ،كما اصبح يتألف من الاعضاء يختارهم الامبراطور من مختلف انحاء الامبراطوريه على

اطلاق،بعد ان كان في العصر الجمهوري يمثل اقليه ممتازه محدوده مما جعل الطبقه السنانوريه ssnatorial class تعتمد على اوغسطس اعتمادا تاما. وقدعاب بعض المؤرخين على الامبراطويه الرومانيه في اوائل عهدها افتقارها الى وجود قانون وراثي ثابت ينظم وظيفه الامبراطور. ونحن لا ننكر مدى خطوره هذه هذه الثغره في النظم الرومانيه عندئذ،ولكننا يجب ان نعترف بان علاجها لم يكن امرا يسيرا بالدرجه التي قظ نتصورها.وذلك ان ثمه حقيقه كبرى ينبغي الا تغيب عن اذهاننا،هي ان الامبراطوريه الرومانيه في عصرها الاول لم تكن مجرد امبراطوريه في قالب جمهوري فحسب،بل كانت استمرارا للنظام الجمهوري السابق وامتدادا له،مما تعذر معه وضع قانون وراثي ثابت للحكم.

الباب الثاني : المحاضرة الثانية

(قبائل الجرمان والهون)

- في بداية العصور الوسطى ومع مطلع القرن الرابع الميلادي بالذات نلمس تغيرات واسعه المدى في الامبراطورية الرومانية والعالم الاوروبي بوجه عام وقد لعبت عدة عوامل اساسية دورا هاما في هذا التغيير نذكر منها اضمحلال الامبراطورية الرومانيه وظهور الديانة المسيحية التي نقلت الامبراطورية من العهد الوثني الى عهد جديد انتصرت فيه المسيحية لتؤثر في حياة الناس وفكرهم طيلة العصور الوسطى ومابعدهل ومن عوامل الهامة التي اسهمت في هذا التغيير كان نقل العاصمة من الغرب الى الشرق اي من روما الى القسطنطينية مزكرا لتبلور بحضاره الهلينستية التي اصبحت من مميزات الامبراطورية الشرقية اي الامبراطورية البيزنطية وفضلا عن ذلك وجد عامل اساسي اخر لعب دورا كبيرا في تغيير خصائص التاريخ الاوروبي وخاصه في الجزء الغربي من اوروبا كبيرا ونعني بذلك جماعات البرابرة الذين تدفقوا على الامبراطورية الرومانية وانتهى المطاف بهم الى الاستقرار داخل مساحات كبيرة من اراضيها ولفظا البربري قديم جدا فقد،ورد في الالياذة
- اليونانيه وكان يدل على الاحتقار والازداء ثم تحول معنى هذا اللفظ،عند المفكرين من قدامى اليونان مثل افلاطون وارسطو واصبح يدل على الشعوب التي لاتفقه اللغه اليونانيه وعلى ذلك اصبح مدلول لفظ البربري،عند اليونان مرادغا لكلمه غير مثقف اوفظ وقد اخذ الرومان هذا اللفظ وادخلوه في لغتهم واستعملوه للدلاله على هذه المعاني بل لقد اصبح يستعمل للدلاله ايضا على القوى الاجنبيه المعاديه التي كانت تهدد الحظارتين اليونانيه والرومانيه ونحن عندما نستعمل لفظ البربريه فيجب الايتبادر الى اذهاننا انها تعني بالضروره الهمجية او الوحشية فإنها في غاليه الامر

تعني مرحله من مراحل التنظيم السياسي الاجتماعي القبليدفي مرحلته البدائيه للقائم فيها على اساس رابطه الدم والواقع ان هؤلاء البرابره لم يعرفوا الحدود الثابته بالمعنى المفهوم في تاريخ الدول المتحضرة المستقرة وقد كانت الامبراطورية الرومانيه محاطة بهم من جميع جهاتها سواء كان ذلك بشكل مباشر او غير مباشر كما كان هولاء البرابره متعددين في انواعهم كما ذكرنا ولم تقتصر عناصرهم على الجرمان فمن العناصر التي اثرت في تاريخ الامبراطورية في مرحلة الانتقال من العصور القديمه الى،العصور الوسطى كانت مجموعه الشعوب الاسيويه الرعويه وهذه المجموعه بدت في اول الامر بعيده الى حد ما الى الشرق من الامبراطوريه ولكنها مالبثت ان اتجهت غربا لتضغط على الشعوب التي امامها الواقعه الى الغرب منها ويلاحظ ان هذا التحرك الى الغرب كان نتيجه تزايد اعدادهم وقلة المؤن الغذائية في موطنها الاول ومن ابرز هذه الشعوب الهون والبلغار والمغول والاتراك بأنواعهم كما احاطت مجموعات من الشعوب الكلتيه والصقلية والجرمانية بالامبراطورية ولكن يجب ان نأخذ في اعتبارنا ان كل هذه الشعوب من كلتية وصقلية وجرمانية ماعي الافروع لاصلى واحد هو الحنس الاوروبي الهندي الذي تفرعت منه الشعوب الايطاليه والارمينية والايرانية والهندية والراجح ان العناصر الاوروبية الهندية على اختلاف فروعها قد وصلت الى اوروبا عن طريق هجره من الشرق صوب الغرب منذ زمن بعيد فنزل الكلتيون في شمال اوروبا ثم قاموا بحركات توسعيه في الخمسة قرون السابقه للميلاد وقد نتج عن تحرك الجرمان صوب الجنوب والغرب ان لجأ الكلتيون الى غاله وما يعرف بالجزر البريطانيه وايطاليا وبلاد اليونان واسيا الصغرى وتاثروا فيما بين البحر الاسود والمحيط الاطلنطي غير ان موطنهم سرعان ماصبحت في نطاق الامبراطوريه الرومانية واصطبغوا بالطابع الروماني بل اتخذوا المسيحيه دين لهم وبالرغم من تقدم الجرمان في فتره تاليه فان الصفات الكلتيه ظلت باقيه في بريطانيا وويلز وايرلندا واسكتلندا ولم تتاثر الاقليلا بالمؤثرات الرومانيه والجرمانيه اما فيما يتعلق بالشعوب السلافيه فقد كانت مستقره اول الانر في اواسط اسيا ثم تعرضت لضغط الاسيويه ومن بعدها للعناصر الجرمانيه الامر الذي ادى بكثير من الصقلية الى الوقوع في الاسر والتحول الى العبوديه ومن هنا جاء تسميتهم باسم السلاف اي العبد ولكن الصقاليه او السلاف مالبثوا ان نهضوا من كبوتهم نهضه ملحوظه وانتشروا وتحدوا العناصر المجاوره لهم وكانت اكثر المجموعات البربويه تاثروا بشكل فعال ومباشر في تطور تاريخ غرب اوروبا هي مجموعه الشعوب الجرمانيه ومعلوماتنا عن الجرمان في حياتهم الاولى اي قبل انتقالهم الى داهل حدود الامبراطوريه الرومانيه محدوده نسبيا لقله ماجاء ذكره في المصادر التاريخية المتعلقه بهم ولكنا نستطيع ان نستقي بعض معلومات هامه في مرحلتهم الاولى مما جاء في كتاب المؤرخ قيصر

والمورخ تاكتيوس (٥٦-١١٧)م والخير كان من كبار موظفي المبراطوريه الرومانيه كما كان على اتصال بالجرمان الامر الذي مكنهمن التعرف على بعض مظتهر حياتهم والمهم ان هذه الشعوب قد تحركت صوب الامبراطوريه الرومانيه واتخذت هذه التخركات مراحل متعدده يمكن ان نجملها في مرحلتين رئيسيتين

المرحله الاولى: التي استمرت حتى عام ٣٧٥م شهدت تعبيرا كبيرا في طابع العلاقات بين طرفين وهذا التغيير كان متاح عده عوامل هامه منها ماكان من تحركات العناصر السلافيه وغيرها وضغطها على الجرمان ومنها ايضا ازدياد اعداد الجرمان ونقص مواد سبل المعيشة عندهم ثم تطلعهم الى الامبراطورية الرومانية بعدما عرفوا خيراتها وبعدما عرفوا ايضا بأنها دخلت في،مرحلة الاضمحلال الامر الذي اغرى الجرمان وغيرهم من جيران الامبراطورية على مهاجمتها والنيل منها،وهكذا بدات هجمات الجرمان على اطراف،الامبراطوريه حقيقة ان الرومان نجحوا في التغلب على الهجوم الجرماني الاول الا ان هجمات الجرمان مالبثت ان تجددت في القرن الثالث الميلادي في عهد الامبراطورية كاراكلا ٢١١-٢١٧م وقد هاجم الجرمان حينئذ اقليم داكيا وظهر في هذا الاقليم القوط في النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي وبتواجد القوط في داكيا بدا تأثرهم بالمسيحية وبغيرهم مؤثرات الحضاره الرومانية هذا ويمكن اعتبار نزول القوط في داكيا انه اساس يحدد قيام اول مملكه جرمانية داخل حدود الامبراطورية وان كان على مستوى محدود الى حد ما هذا ويجب ان نلاحظ في هذا المقام تلك العملية الهامة التي صاحبت هذه المرحلة من العلاقات مع الجرمان وتلك هي عملية التغلغل البطئ فقد بدا اسقرار الجرمان بأعداد كبيرة داخل حدود الامبراطورية كمزارعين للارض وكجند مرتزقه يخدمون تحت راية اللمبراطورية بل وكقواد ووزراء لهؤلاء الاباطرة الرومان يضاف الى ذلك كله ماتم بين الجرمان والرومان من زواج وتفاعل اجتماعي اما المرحله الثانية فقد امتدت من عام ٣٧٦حتى عام ٥٦٨م فقد بدا القوط في عام ٣٧٦م ينفذون الى داخل الامبراطوريه باعداد كبيرة وفي سنه ٥٦٨م دخل اللمبارديون ايطاليا وفي هذه المرحله التي استمرن حوالي قرنين من الزمان تجددت الهجمات الجرمانيه واتخذت طابعا جديدا يتمثل في ضخامه هجماتها التي كانت تهدف من ورائها الى الاستقرار

داخل اراضي الامبراطورية حقيقه انه تخلل هذه الحقبه الزمنية بعض الغزوات المحدوده التي جاءت بغرض السلب والنهب ثم العوده مره اخرى الى مواطنها الاصلية ولكن مثل هذه الهجمات لاتهمنا بالقدر الذي نهتم به بالغزوات الضخمه التي كانت من خصائص هذه الفتره ومن الطبيعي ان تثير الغزوات الكبرى المخاوف والرعب في المجتمع الاوروبي الامر الذي سجلته لنا كتابات عدد من المؤرخين والكتاب الاوروبين المعاصرين فقد تجلى في هذه الكتابات رعب وفزع سكان الريف والمدن ومن ذلك كتابات القديس جيروم ٣٤٢-٤٢٠محيث قال كان المسيحيون يجري قتلهم في الكنائس كما اصبحت الارامل والعذارى ممن وهين

انفسهن للسيد المسيح في جمله الغنائم التي سلبتها هذه الوحوش المفترسه لقد اسروا الاساقفة وقتلوهم وهدموا المذايح وعم شقاء في كافة البلاد التي مر فيها البرابره اما قديس امبروز ٣٩٧م فكان يرى في البرابره حيونانات مجرده من كل عاطفة ولا تعرف سوى الفجور والسلب والنهب ولكن يجب الا تجعلنا امثال هذه الكتابات نحكم بان البرابره كاموا مجرد غزاه هدامين ومخربين فالكثير من المدن الرومانية القديمه بقيت سالمه على حالها الى ما بعد غزوات البرابرة الجرمان ونضيف ان هذه المرحلة من غزواتهم اصطبغت بحرص شديد من الجرمتن على الاستفاده من الحضاره الرومانية واقتباس مقتماتها وسعرض،فيما يلي،الدور الذي قامت به الجامعات الجرمانية النسية في هذه المرحلة وما كان لها من نتائج واثار.

القوط الغربيون :

في نهاية القرن الرابع جاءت من اعماق الاستبس التي تمتد حتى يحوم اوروبا واسيا موجه من التحركات البشرية هزت كل عالم البرابرة وتسست في حركة عظمى للشعوب التي اسقطت الامبراطورية الرونانية العربية فعناصر الهون التي استقرت منذ القرن الثالث قبل الميلاد في السهول الكبرى لاسيا الوسطى وراء بحر قزوين اخذت تتقدم بالتدريج نحو

الغرب ونتيجه للانقسام الداخلي بين هذه العناصر انقسم الهون الى قسمين الاول هو قبائل،الهون البيض التي،بثت الرعب،في فلوس،بينما اندفع القسم الثاني نحو اوروبا غادرا

نهر الفلولجا دافعا في طريقه الشعب،الالاتي الذي اقام بين البحر الاسود وبحر قزوين وعبر،الهون والالاتي نهر الدون وانقضوا على امة القوط الكبرى التي وحدها،هرمانريك ونتيجه لذلك تحرك القوط الغربيون الى ضفاف،نهر الدانوب وهي الحد الفاصل،بين هولاء،البرابرة والامبراطورية الرومانية وعند هذه المرحلة حصلوا على إذن من الامبراطور فالنز (٣٦٤-٣٧٨)بعبور الدانوب ووافق الامبراطور في عام ٣٧٦م على عبورهم الى منطقه مواشيا وانتهى بهم الامر الى الاستقرار داخل الامبراطوريه كوحدة قومية وإزاء تعسف الموظفين الرومان واساءة ماالمة القوط قابل القوط هذه الاستضافة بالثوره والتطلع الى الاستقلال وقد ادى ذلك الى اصطدام القوط الغربيين بقوات الامبراطورية وخاض الطرفان معركه كبيرة وهامه للغاية في تاريخ العصور الوسطي هي معركه ادرنه عام ٣٧٨م قتل فيها النبراطور نفسه وقد استطاع ثيودوسيوس الاول (٣٧٩-٣٩٥م) الذي تولى حكم الامبراطورية بعد الامبراطور فالنز معالجة الخطر القوطي بعدما لجأ الى الحكمة والدبلوماسية بدلا من الحرب فقد عقد معهم اتفاقا في عام ٣٨٢م اصبحوا بموجه معاهدين له واعفاهم من الضرائب المفروضة عليهم مقابل الخدمه العسكريه في صفوف الجيش الامبراطوري كما نجح بالدهاء في نقل بعضهم الى اسيا الصغرى وتراقيا ويبدو ظاهريا ان الامبراطورية الرومانية قد قبلت استضافة القوط على هذه الصورة كان من باب التفضل ولكن واقع الامر ان الامبراطورية لم تكن تجرؤ على غير ذلك فقد كانت الامبراطورية في سابق عهدها تؤلف البرابرة في مستعمرات بعد اخضاعهم اما في هذه المرحلة فقد اخذت تستقبلهم لتفادي اخطارهم وليس بدافع الكرم ومع تغلغل البرابرت زادنفوذهم داخل الامبرطورية وصرنا نجدمنهم الوزراءوالقادة العسكريين في الحكومة الامبرطورية مثل ستيلكو stilichoالوندالي الاصل--وروقينوسRufinus القوطي'وأربوجاست Arbugastالقائد الفرنجي وزادت جراة البربره في هذا المرحلة خاصة ان الامبراطورية كانت تمربمرحلة من الضعف'فاخذوا يقتحمون حدودها بالقوة واصبحواسادة الارض الرومانية. ولقدوصل الغزو في هذالمرحلة عندما آل امرالامبراطوريه إلى ولدي ثيودوسيوس وقسمت بينهما عام٣٩٥م' وهناضاعت وحدة الامبرطورية الى الابد. وبموجب هذاالتقسيم حصل هونوريوسHonuorius على القسم الغربي وعاصمته روما'بينماكان الجزء الشرقي من نصيب اركاديوس٣٩٥-٤٠٨وعاصمته القسطنطينيه واستمرهذالجزءألف وثمانية وخمسون عامآبعدهذالتقسيم اي حتى عام ١٤٥٣م حتى سقطت القسطنطينيه في يدالاتراك العثمانيين'في حين لم يستمرالجزء الغربي سوى واحد وثمانين عاماً اي حتى عام ٤٧٦م عندما سقطت روما في يدالقائدالجرماني اودواكر .Odoacerومنذعام٣٩٥م حتى سقوط اوروباعام٤٧٦م وكانت الامبراطوريتان رغم استقلال كل منهماعن الاخرى توحدان قواتهما للدفاع المشترك .وخلال هذه المرحلة وما بعدها توفرت للامبراطورية الشرقية الحماية نتيجة الحواجزالطبيعية لنهرالدانوب وجبال البلقان'يضاف الى ذلك ان الاتجاه العام لتقدم البرابرة كان ضدالغرب

اكثرمن الشرق بفضل مااتخذته الامبراطورية الشرقية من احتياطات للدفاع عن ارضيها وحصانة القسطنينية التي اصبحت العاصمة الجديدة للعالم الروماني'في حين ظلت روما مجردظل لعاصمة .ولما كانت الامبراطورية الغربية هدفالكل الهجمات الكاسحة'لذلك نجدفي غضون نصف قرن فقط هجمات للقوط الغربيين والسويفي والوندال والالانيين واخيرا اتيلا على رأس قبائل الهون. وكان يتعين على الامبراطورية الغربيةأن تكون على درجه من القوة تفوق ما كانت فى هذه المرحلة .ولعل أهم الاحداث في تاريخ القوط هواختيارهم الاريكAlaricزعيم احد الأسر القوطية الامعة قائدا وزعيمالهم عقب وفاة الامبراطور ثيودوسيوس عام٣٩٥م. وكانت بداية الاحداث عندما رفضت الامبراطورية دفع الجزية السنوية المقررة لهم'فاندفعوا ألى إقليم تراقيا ومقدونيا يسلبون وينهبون دون مقاومة تذكر . وعلى أية حال فقدكان للامبراطورية من يدفع عنهامثلا في شخص القائد ستيلكو الوندالي الاصل الذي عهدالية ثيودوسيوس برعاية ولديه هو على فراش الموت. وسراع ستيلكو للتصدي للقوط الغربيين وحاصرهم على جبل فولي في اركاديا'ولكنه إمانتيجة الاهمال أو من باب السياسة تركهم ينجون بانفسهم عبرمضيق نوباكتوس'Naupactnsوللحيولة دون أعمال نهب أخرى قام الامبراطور الشرقي اركاديوس بتعين الاريك رئيسا للجند في منطقة الليريا .وما كان مثل هذا التشريف السلمي يرضى زعيما بربريا مرفوعا على دروع موطنية. لذلك قاد الاريك قومة وغزا ايطاليا ودخل ميلانو'ويتحمل انه استطاع ان يحاصر الامبراطور هونوريونس في استي'Asti ولكن الامبراطور نجح الفرار'ولحسن الحظ اسرع ستيلكو الى ميدان المعركة وانقذ الامبراطور ودحر القوط الغربيين في بولتتياpollentiaعام. ٤٠٢م . ويقال ان الاريك كرم مرة اخرى بعد هزيمته في ايطاليا كما حدث له عند هزيمته. في اليونان'فقدعينه هونوريوس قائدا وعهد أليه سرا بمهمتة غزو الليريا لحساب الامبراطورية الغربية'وربما قصد بذلك ابعاده عن طريق الامبراطورية في الغرب'ويرى البعض ان في ذلك'عملا مخخلا ووضيعآ .وعلى اية حال فقد اعتبر هونوريوس نفسه. منتصرا ع قوط الغرب واحتفل بانتصاره في مدينة روما'ثم عاد الى مدينةوافناحيث تطيب له الاقامة بها بعيدا عن روما وما يحاق بها من اخطار'وعن ميلانو التي سبق ان حاصرها الاريك من قبل .وقف الاريك فى تراجعه عندقمة البحرالادرباني'وسمح له موقعه بين الامبراطوريتين ان ينقص على أي منهما حسبماتواتيه الفرصة. وانجذب للمرة الثانية نحو الامبراطورية الغربية 'ومع أن ستيلكو كان قد هزم القوط فانه استمر في اقامة علاقات المودة مع رئيسهم الاريك' كما احتفظ بقوة تقدربثلاثين الف بربري في ايطاليا على نفقته الامبراطورية إما لاعجابه باقدامهم وشجاعتهم او لانه رغب في الاعتماد علئ مساعدتهم لينصب ابنه امبراطورا علئ الغراب. وانزعج الامبراطور هونوريوس لهذا الامر فقتل ستيلكو عام ٤٠٨ م وامر بقتل كل معاونيه من البرابره في ايطاليا ،وهرب بعضهم الئ الاريك فعاد معهم للا نتقام لهم في العام نفسه . عبر الاريك جبال الالب واتجه الى اسوار مدينه روما التى ارسلت قواتها إلى معسكره طالبين

السلام،واغتر الاريك فقال للنواب ،،كلما كانت الحشائش كثيفه،كلما كان الرعي افضل ،،مشير بذلك الئ خيرات المدينه والئ الغنائم والاسلاب التي يمكن الاستيلاء عليها. ورغم ذلك فضل الاريك السلم على الحرب ووافق على عقد معاهدة جعلت العاصمة القديمة للعالم الروماني وهنا بدافع خمسه الالف قطعة من الذهب وثلاثه الالف قطعة من الفضة. واتجه الاريك بعد ذالك الى توسكانيا حيث قضى الشتاء .سرعان ما ادرك الايك انه اهين واستهين بقدره فعاد الئ روما والقئ عليها الحصار،فانقطعت عنها الامدادات التي كانت تصلها من صقليه واجتاحتها مجاعة مريعة. واذعن مجلس شيوخ المدينة للغزاة، فخلعوا القائد الروماني اطالوسAttaalusواعتيوا الاريك بدلا منه وتحرك الامبراطور هونوريونس واستمال احد القواد القوط ويدعى ساروس واغراه بأن يباعت معسكر. وعلم الاريك مهذه التحركات فاصدار للمرة الثالثة تجاه روما عام ٤١٠م وسقطت المدينة في الرابع والعشرين من اغسطس في العام نفسه ونهبت منازل النبلاء واحرقت،ولكن الخسائر في الارواح كانت قليلة،كمانجت الكنائس من كل ضرر ولم يلحق بالاثار القديمه ضرربليغ،رغم أن الاريك كان أريوسي المذهب. وروع العالم المسيحي لاخبار سقوط المدينة واعتبروهانهاية العالم .وبعد. ماسقطت روما في يد القوط الغربيون اقترح الاريك عبور البحر المتوسط الى الساحل الافريقي، ولعله كان يقصد من وراء ذلك الئ اسكان القوط الغريبون بصفة دائمة في الساحل الافريقي، او في صقيله،ولكن السفن النقل تحطمت بعاصفة مفاجئه. ومات الاريك نفسه في اواخر عام ٤٩٠بمدينه كرسترا واحتفل البربره بتشيع ودفن جثمان قائدهم المظفر بطريقه اسطوريه ،ولكي يمنعواحتمال تدنيس الرومان لجثمانه كلفوا اسراهم بتحويل مجرئ نهر بو سنتو الذي كان يجري داخل المدينة كوستر ةا وان يحفروا قبرا في قاع النهر ودفنوا الاريك محاطا بالغنائم والاسلاب النفيسه التي حصل عليها في انتصاراته،ثم اعيد النهر الئ مجراه القديم وقتل الاسرئ الذين قاموا بالعمل علئ المقبره حتى لايذاع هذا السر .وخلف الاريك شقيقه اتولف(٤١١-٤١٥)وكان اتولف معجبا بالامبراطوريه ويرغب افاقتها من عشرتها على يد شعبه ولمصلحته. فبدأ بعرض خدماتها على الامبراطور الغربي هونوريوس،وفي يناير من عام ٤١١م تزوج شقيقه الامبراطور الاميرة بلاسيديا التي كان القوط قد احتفظوا بها اسيرة عندهم. او رهينه ووعد اتولف بأن يطرد من بلاد الغال واسبانيا الغاصبيين الذين كانوا يتامرون هناك لاستيلاء على العرش الامبراطوري.

فقد ادعى ثلاثة انهم اباطرة ولبسوا العباءة الارجوانية في كل اسبانيا وعاله اولهم يدعئ قسطنطين وثانيهم يدعئ مكسيموس وثالثهم هو جيونتيرس ونجح اتولف في حلع هولاء الثلاثه دون صعوبه.ولكنه سرعان ما اضهر اثنان احران هما جوفينوس وسباستيان ونجح اتولف في الانتعار عليهما ثم دخل اسبانيا لطرد البرابره الذين كانوا قد اجتاحوها.وانتهت حياه اتولف عندما اغتيل في برشلونه عام ٤١٥م وتولئ امر القوط بعد ذلك سنجريك الذين حكم

لمده سبعه ايام فقط ثم لقي مصرعه ولم يقم بعمل مافي هذه الفتره سوئ قتل اولاد اتولف.ثم تولئ واليا حكم القوط ٤١٥ ـ ٤٢٠م بعد ذلك .وحاول واليا الابحار الئ افريقيا ولكنه عجز عن عبور مضيق عمودي هرقل جبل طارق مما يدل علئ ضاله خبره القوط بالسلاحه البحريه وبع ان عاد الئ قلب اسبانيا اخذ ينازع الالان والسويفي والوندال ملكيه ذلك الاقليم لمصلحه الامبراطور الروماني العربي .وبدايه احتكاك هذه القبائل بالاميراطوريه يرجع الئ ان هذه القبائل تركت شواطئ الباطيق تحت قياده راداجياصوص واتجهت نحو الجنوب دافعه معها لشعوب الئ قابلتها في الطريق وهي القبائل البرجنديه والالانيه والوندياليه.وقد انضمت اليها هذه القبائل بكل سهولع في النهب الامبراطوريه لانها شهدت وراءها الجزء الاكبر من جحافل الهون تتجمع منلره بالزحف .وعبر جبال الالب مائتا الف من عناصر السويفي وما انضم اليها تاركين وراهم جزءا كبيرا علئ ضفاف نهر الراين .وهبطت هذه العناصر ايطاليا متغلغلين فيها حتئ وصلو فلورنسا.واسرع ستيلكو مره اخرئ الئ انقاذ روما والامبراطوريه فحاصر البرابره علئ صخور فيسول حتئ هلك عدد كبير واسر الباقي وبيعوا عبيدا.ولقي قائدهم راداجياسوس نفسه مصر .ولما علم البرابره الذين بقوا في المانيا باناء الكارثه غيروا وجهتهم وهاجمو بلاد الغال وعبرو الراين عام 406م.علئ الرغم من مقاومه الفرنجة

البريون الدين كانت روما قد عهدت اليهم بالدفاع عن نهر الراين .ومنذ ذلك التاريخ ولعامين كاملين كانت بلاد الغال فريسه عمليات النهب وسلب المريعه التي لم تنقطع الئ ان استدارت قبائل السويفي ولالان والوندال تبحث في جنوب جبال البرانس عن مستقرات لها بعدما فشلوا في الحصول عليها في الشمال وواكب هذه الاحداث ماكان يقوم به واليا من تطهير اسبانيا من هذه القبائل لمصلحه الامبراطور هونوربوس وعلئ رغم من هزيمه قبائل السويفي امام قوات واليا فان زعيم قبائل السويفي انقض علئ جبال البرانس وجاليسيا حيث اسس في عام ٤١٩م مملكه قامت في اظل مليكها رشيلا ورشياريوس ونجحت عناصر السويفي في الفتره من٤٣٨ حتئ عام ٤٥٥م في ان تغزو كل اسبانيا لولا تدخل القوط الغربيون لوقف تقدمها.وكان الثمن ذلك ان اعاد الامبراطور هونوريوس مقاطعه اكويتين مع عاصمتها تولوس للقوط مكافاه وعلئ خدماتهم وانتشر القوم الغربيون في بلاد الغال حتئ نهر الرون و اللوار .ثم عاد الئ اسبانيا مره اخرئ ليعلمون لحسابهم .وقد نجح القوط في الهزيمه قبائل السويفي في اسبانيا عام٤٥٦م وتمكن ليوفيحلد ٥٧٠-٥٨٦م في عاك٥٨٥ من اخضاعهم وبذلك الت اسبانيا كلها الئ القوط .وهكذا قامت في العشرين سنه الاولئ من القرن الخامس الميلادي عده ممالك بربريه استمرت لفترات متفاوته ولكنها سرعان ما زالت .فقد زالت السويفي عام ٥٨٥م واتجهت مملكه القوط الغربيين الئ اسبانيا عام ٥٠٧ بعد هزيمتها علئ يد الفرنجه .ثم زالت دوله القوط من اسبانيا علئ يد العرب عندما فتحرا اسبانيا عام ٧١١م وعلئ ايه حال فقد مات ملك القوط واليا عام ٤٢٠م ومات

الامبراطور الروماني الغربي هونوريوس بعده بثلاثه أعوام(٤٢٣) بعد ما عجز عن الدفاع عن ممتلكاته أمام أخطار العناصر الجرمانيه،ولم يخلف وراءه سوى حمايته للكنيسه وكثيرت من القرارات التي قضت بتدمير الاصنام والمعابد،وتحظر توظيف الوثنيين والمهرطقين في الوظائف العامه.وخاف هونوريوس ابن اخته فالنتيان الثالث(٤٢٤_٤٥٥)ابن بلاسديا،والكونت قونسطاتو الذي تزوجته بعد وفاة اتولف القوطي.وكام فالنتيان يبلغ من العمر ست سنوات لذلك ظل تحت وصاية والدته.وخلال هذه المرحله كانت بلاخريا تحكم الامبراطوريه الشرقيه وصية على شقيقها الامبراطور ثيودسيوس الثاني(٤٠٨_٤٥٠م) الذي خلف والده اركاديوس.وانهالت كوارث جديده على الامبراطوريتين تحت حكم هذين الامبراطوريين القاصرين اللذين تسيطر على كل منها إمراة،ويستعين وزراؤها وقادتها بالبرابره في التنافس ودسائس القصر.وكان لهذا كله اسوأ النتائج على الامبراطوريتين في المراحل اللاحقه،ونجحت العناصر الجرمانيه في التوغل في جوف اوربا خاصة البرجنديون والوندال وغيرهم.

البرجنديون :

والبرجنديون من الجرمان الشرقيين الذين نفذوا إلى اقليم سيليزيا قرابة ١٥٠م،ثم دخلوا وادي اليمن بعد ذلك بقرن من الزمان،ثم شقوا طريقهم إلى نهر الراين فبلغوه في نهاية القرن الرابع الميلادي.وقد سمح لهم الرومان بامتلاك الاراضي الواقعه على جانبي نهر الراين بقصد حماية الحدود من غارات الالمان،واتخذوا من مدينة ورمز عاصمه لهم.وقد استخدمتهم الامبراطوريه في ادارتها المدنيه للعمل كموظفين شأنهم في ذلك شأن العناصر الحرماتيه الاخرى.ومن الملاحظ ان البرجنديين كانوا قد اعتنقوا المسيحيه على المذهب الاريوسي في بداية عهدهم المسيحيه مما سبب الكثير من المعاناة للكنيسه الاثناسووسيه في اوربا،كما انهم كانوا قوما مسالمين بطبيعتهم، ولكنه

ولكنه تحت ضغط هجمات الهون اضطروا لاستخدام العنف في شق طريقهم حتى سمح لهم القائد الروماني ايتيوس بالاقامه في الجزء الشرقي من فرنسا في عهد زعيمهم جنديكار عام٤١٣م. وقد استغلوا فرصة اشتراكهم مع الرومان والقوط- الغربين في صد الهون والانتصار عليهم في موقعة شالون عام٤٥١م ليتوسعوا سلميا في المنطقه الواقعه بين الالب والرون وهي المنطقه التي عرفت باسمهم وعن علاقة البرجنديين بالامبراطوريه الشرقيه،قييدو- ان العلاقات بينهما كانت طيبه وتميزت بولاء الملوك البرجنديين للاباطره الشرقيين الذين اضفوا عليهم القاب التشريف،وهي الألقاب التي اعتبرها البرجنديون انها اضافت اليهم العظمه والمجد. أما فيما يتعلق بعلاقة البرجنديين بالفرنجه فلم تكن علاقة سلميه خاصه في عهد كلوفس كانت برجنديه.ولم تستمر مملكة البرجنديين طويلا فقد انتهى أجلها في الربع الاول من القرن السادس م لانها لم تكن مملكه قويه ولك تستطع الصمود امام احداث العصر واخطاره

الوندال:

الوندال من الشعوب الجرمانيه الشرقيه شأنها في ذلك شأن البرجنديين،وقد غادروا ساحل بحر البلطيق في وقت سابق لتحرك القوط. ومع حلول القرن الاول الميلادي تجدهم وقد نزلوا في سيلزيا ويوهيميا،وعلي اثر الاضطرابات التي أثارتها حرب الماركوماتي (بوهيميا)حوالي١٦٦م،وتعرضت هذه الاقوام للتفرق والتشتت،فتحرك الى هنغاريا شعب الوندال الاسدنجيين الذي اشتق اسمه على مايبدوا من اسم البيت المالك فيه،أنا الوندال السلينجيون فقد بقوا في سيليزيا الذي يبدوا ان إسمها جاء تحريفا للاسم سيلينجيا .ولعد مايقرب من مائة عام هاجو عدد منهم الى الحوض الاوسط لنهر المين ،واصاب الوندال الاسدنجيين

الزمان بسبب صراعهم مع القوط،وفي نهاية القرن الرابع الميلادي ادركوا أن الأرض التي يعيشون عليها عند نهر (تيس Theiss(لا تفي باحتياجاتهم ،لذلك غادرها عدد كبير منهم تحت قيادة ملكهم (جوديجسيل Godigisel(وانضموا ألى الالان الذين مروا من امام الهون وعبروا نهر الدانوب الأعلى حيث توقفوا هناك . وطلوا خمسة سنوات داخل الامبراطورية بوصفهم معاهدين . وحدث في عام (٤٠٦م)أن تغيرت الأوضاع حين اضطراب الامبراطورية لسحب قواتها من حدود نهر الراين لتواجه خطر القوط الغربيين،وكان في ذلك فرصة للوندال الاسدتجيين والألان الذين عبروا الراين،وازدادوا عددابفضل ما انضم اليهم من السويفي والوندال السيلينجيين في اواخر العام نفسه (٤٠٦م .(وعاشت جموعهم المتناثرة من الفرسان في الجانب الاكبر من فرنسا فسادا وتدميرا طوال السنتين التاليتين دون ان تواجه اية مقاومة منظمة ، باستثناء مدينة« تولوز Toulouse«التي قاومت هجماتهم بفضل اسقف المدينه الذي استبسل في الدفاع عنها .ولكن هذا التخريب ما لبث ان توقف عندما عبر الوندال وحلفاؤهم جبال (البرانس)ونزلوا باسبانيا حيث عاثوا في الارض فسادا لمدة سنتين اخريتين . ولم يتوقف هذا الفساد إلا عندما تدخلت روما وعقدت في عام (٤١٠) تسويه مؤقتة ،نزل بموجبها الوندال الاسدنجيون والسويفي في (جاليسياGalicia(والوندال السيلينجيون في (اندلوسيا Andalusia(،على حين استقرالألان في البرتقال وشمال شرق اسبانيا ،ورغم ذلك فإن رومالم تنس سياستها القديمة وهي سياسة (فرق تسد)وعهدت إلى واليا ملك القوط في عام (٤١٦م) بمهاجمة الوندال في اسبانيا ،وكانت تهدف وراء ذلك أن يهلك الطرفين .وقد نجح واليا في مهمته نجاحا باهرا وسحق الوندال السيلينجيين سحقا .واضطرت بقايا الآلان ان تندمج في الوندال الاسدنجيين .ولما احست روما بأن القوط الغربيين اصبحوا قوة اكثر مما ينبغي استدعتهم من اسبانيا ومنحتهم الاراضي في اكويتين .وفي الوقت نفسه لجأت روما الى السويفي لضرب الوندال والآلان ، ونجحت عناصر السويفي في مهمتها ودفعوا بالوندال والآلان الى جنوب اسبانيا حيث اعادوا جمع شملهم مرة اخرى وصدوا جنود الرومان ،كما نجحوا ايضا في اسقاط المدن الساحليه الحصينه بفضل ضرباتهم القويه التي انهالت على المدن من البر والبحر حتى سقطت (اشبيليه) وقرطاجنة ونهبوها .وفي عام (٤٢٨ م)اصبح جيسريك ملكا على. الوندال ،ويعتبر جيسريك (٤٧٧--٤٢٨ م)من اعظم شخصيات عصره

،فقد كان سياسيا بارعا فاق كل البرابرة عدا «ثيودريك وكلوفس »،فضلا عن كونه محاربا شجاعا لا يجد الخوف الى قلبه سبيلا ،فهو الذي اداردقة غزو افريقيه . فقد كان الساحل الافريقي غير مستقر الاحوال حيث كانت الثورة قائمه بين سكانه البربر ،يضاف الى هذه الثورة ما اضافة المذهب اليوناني المسيحي من انشقاق ،هذا في الوقت الذي لم يكن لدى القائد الروماني بونيفاس القوات الكافيه لصد أي غزو عليه .أما عن اسباب غزو الوندال للساحل الافريقي فيرى البعض ان القائد الروماني بونيفاس استدعى الوندال بعد ما استبدت به الغيرة من ايتيوس وهو قائد روماني ايضا قربته الامبراطورة جالا بلاسديا إليها ،ولكن بونيفاس ندم على استدعاء الوندال وحاربهم .وعلى اية حال قاد (جيسيريك) في عام«٤٢٩ م»الوندال وكان عددهم حوالي ثمانين الفا وعبر مضيق عمودي هرقل(جبل طارق)ونزلوابالساحل الشمالي الأفريقي وتحالفوا مع قبائل البربر وهزموا القائد الروماني بونيفاس في معركة ضاربة وحاصروه في مدينة (هيبو)الساحلية أربعة عشر شهرا ،ورفض الغدير أوغسطين الذي كان اسقفا لتلك المدينة ان يغادرها والهب شجاعة سكانها ،وانقذته وفاته في عام (٤٣٠ م)من يكون شاهد عيان لهزيمة جديدة تلحق بالقائد الروماني بونيفاس.واخيرا سقطت مدينة هيبو واضطر الرومان إلى التخلي عن الساحل الافريقي عام (٤٣١ م) .وبعد أربع سنوات

اعترف الامبراطور(فالتين)بموجب المعاهدة بقيام مملكة الوندال .وكانت هذه الدولة الثالثة التي يؤسسها البرابرة ولم يقدر لها ان تعمر طويلا.وعلى اية حال فقد كان لمؤسسها بعض ألافكار الجيدة وظهرت عبقريته في الافاده من مميزات وضعة الجديد ،فاستولى على قرطاج. في عام (٤٣٩ م)،وحاول بعث القوة البحرية التي كانت هذه المدن قاعدتها.وبنى الوندال السفن وشيدوا قوة بحرية وأستولوا على جزر كورسيكا وسردينيا وجزر البلبار ،وأخذوا يغيرون على سواحل تسكانيا وبحر ايجة ،وبعبارة اخرى اخذ جيسيريك يتحدى القسطنطينية كما فعل مع روما وأصبح سيد البحر المتوسط . ونتيجة الغزو الوندالي للساحل الافريقي فقدت الامبراطوريه الرومانية جزءا هاما من اراضيها كان يمدها بالغلال فضلا عن ضياع الجزية .والمهم ان دولة الوندال قد نمت وزادت قوتها خاصة بعد بناء البحريه الوندالية.ولكن الوندال عاشوا اغرابا في هذه المنطقة لاعتناقهم المذهب الاريوسي المخالف لمذهب اهل المنطقة الذين دانوا بالمذهب الاثناسيوسي الذي دانة به روما والمذهب الدوناتي الذي دان به جانب من سكان الشمال الافريقي .وجاءت الفرصة للوندال لضرب روما عام (٤٥٥ م)وترجع هذه الاحداث الى مصرع الامبراطور(فالتنيان الثالث)على يد احد اعضاء مجلس الشيوخ ويدعى (بترونيوس)الذي اجبر الامبراطورة الأرملة »يودو كسيا»على الزواج منه فسرعان ما طلبت يودوكسيا مساعدة الوندال، فتحرك الوندال عبر البحر لمساعدتها وحاصروا روما، ولم تنجح محاولات البابا ليو الأول (٤٦١-٤٤٠م) في انقاذ المدينة وأبيحت روما. للنهب لمدة اربعة

عشر يوما بطريقة بربرية اصبح معها اسم الوندالية يطلق على كل تخريب يتم فيه التدمير لاشباع رغبة التدمير فقط .وفقد حكم جيسريك البحر المتوسط بعد ذلك عشرين عاما متحديا الامبراطوريتين ومات في عام «٤٧٧ م » وماتت معه عظمة شعبه ،لأن مملكة

الوندال قد مزقتها الحلافات الدينيه وثورات البربر واخيرا سقطت على يد القائد البيزنطي (ملزاريوس)في عهد الامبراطور«جستيك الاول »عام ٥٣٤ م.

قبائل الهون كان من سياسة «جيسيريك »ملك الوندال تحريض شعوب البرابره للانقضاض من كل جانب على الامبراطوريه التي كان القائد الروماني «أيتيوس »يحاول ان يستعيد فيها بعض السلطة والنظام . وكان من الذين لبوا هذه الدعوة في هذه المرحلة قبائل الهون تدفعهم بعض العوامل الاخرى .والهون من القبائل البربرية الذين فاقوا في الارهاب وبث الرعب جميع العناصر التي تعاملت مع الامبراطوريه واثارت الخوف والاضطراب في المناطق التي مرت بها .وأثناء تحركات الهون توقفوا في وسط اوربا زهاء نصف قرن من الزمان واضعين تحت نيرهم القوط الشرقيين والجبيدي وقبائل «الماركوماني »وسلاف الجنوب .وكان يحكمهم «أتيلا »ابن «موندزوك »وكان الرمز الديني للهون خنجر مغروس في الارض .وتقول الاسطورة ان احد الرعاة عثر على خنجر كثير الصدأفي حقل كانت ترعى فيه ماشيته فحمله الى أتيلا الذي اعتقده انه خنجر اله الحرب ،وان العثور على هذا الخنجر بهذه الصوره يشير بان أتيلا سوف يغزو العالم .وتضيف الاسطورة انه منذ ذلك الوقت رغب اتيلا (٤٥٣-٤٣٣ م)ان يحكم الهون بمفرده فأمر بقتل شقيقه «بلدا»وقد بدأ اتيلا في اعين شعبه الها مقدسا وسمى نفسه «سوط الاله »مضيفا الى ذلك ان الحشائش لاتنمو في الارض التي تطؤها فرسه ،ولعل ذلك يشير الى كثرة الدمار والخراب الذي تحدثه تحركات قواته .وعلى أية حال فقد بدأت تحركات الهون ضد الامبراطوريه عندما قام أتيلا بهجوم مضلل ضد الجانب الشرقي من الامبراطوريه لجبر الامبراطور

(٠ثيو دوسيوس الثاني)على سحب قواته التي ارسلها لمحاربة جيسريك الوندالي الذي حرضه على مثل هذا العمل. وعبر أتيلا الدانوب بالقرب من «مارجوس »ودمر العديد من المدن ذكر البعض أنها سبعون مدينه ،ولم يجبر الامبراطور على سحب قواته من الجبهة الونداليه فحسب ،بل على زيادة قيمة الجزية التي تدفعها الامبراطوريه للهون وان تتخلى الامبراطوريه للهون عن الضفه اليمنى لنهر الدانوب . بعد هذه الاحداث لجأ الامبراطور الشرقي «ثيودوسيوس» إلى التآمر على اغتيال «اتيلا »واعتقد انه نجح في ضم وزيره «إدكون» الى جانبه. وعلم اتيلا بهذهالمؤامرة في الوقت الذي كان لديه بعض سفراء الرومان في قصره الخشبي في «بانونيا »،لكنه تصرف على عكس ما كان متوقع ،واكتفى بتوجيه اللوم للامبراطور على تآمره ضد سيده كعبد شئ.وعقب وفاة (ثيودوسيوس الثاني)عام ٤٥٠ م ،وجد «اتيل»افي خلفه مارقيان (٤٥٧-٤٥٠ م)عدوا جسورا فقداعلن ان لديه ذهبا لاصدقائه وسيفا لاعدائه .ولم يكن اتيلا بالرجل الذي توقفه كلمات التهديد ،ولما كانت القسطينيه مدينة منيعه وحصينه قرر ان يوجه الضربة الى مكان اخر ،واتجة الى بلاد الغال

على راس قواته التي قدرها البعض بحوالي ستمائة الف وعبر نهر الراين وسلب ونهب ثم عبر نهر الموزول والسين وسار الى مدينة« اورليانز»،ولاذ الناس بالفرار امامه في رعب وذعر لايوصفان ،لان اتيلا لم يترك حيثما مر لبنة على اخرى او حجرا على حجر .ولم ينج من مدن هذه المنطقة سوى مدينة تروي بفضل مساعي اسقفها القديس «أنيا نوس »،الذي رفع الروح المعنوية للسكان . وعندما كان اتيلا في اور ليانز شوهت سحابة ترابيه في الافق فضن الناس ان الله قد استجابه لدعواتهم وانها مساعدة الله، والحقيقه ان الذي اتى هو القائد الروماني«أيتيوس »الجرماني الاصل ومعه القوات الرومانيةوحلفائه من القوط الغربين بقيادة« ثيو دريك» والسكسون والبرجنديون والفرنجه . تراجع اتيلا في البدايه املا في ان يختار ميدانا للقتال اكثر ملائما لفرسانه وتوقفه بالقرب من شالون حيث دارت معركة عام (٤٥١ م)انتهت بهزيمة الهون ،هذه الهزيمة التي انقذت الغرب من سيطرة القبائل الهون .وكانت معركة رهيبة انتشر في ارضها جثث مائه وستين الف رجل على حد تقدير بعض المؤرخين .بعد هذه الهزيمه انسحب اتيلا وعاد الى معسكره الذي احاطه بسور من المركبات .ويقول «جورد انس) « عاش في القرن السادس الميلادي)القوطي ومؤرخ هذه المعركه ،ورأى المنتصرون وسط هذا المعسكر كومة هائله مصنوعة من سروج الخيول ،وفوقها وقف اتيلا وتحته الهون والمشاعل في ايديهم مستعدون لاشعال النار فيها اذا اقتحم الاعداء حصونهم ،وهكذا فأن أسدا يتعقبه الصيادون حتى مدخل عريته يقف مرة اخرى ويخيفهم بزئيره ،ولم يجروا ايتيوس وحلفاؤه على التقدم .وعاد اتيلا وقواتة الى المانيا في العام نفسه ٤٥١ م .وفي العام التالي« ٤٥٢ م »وعوض اتيلا نفسه عن الهزيمه بغزو ايطاليا العليا فدمر وخرب «اكويليا»التي التجأ سكانها الى البرك المجاوره حيث انشأ ابناؤهم مدينة البندقيه ،وتحولت« بادوا»الى رماد وخضعت له بعض المدن مثل فيرونا ويافيا وميلانو .وفي قصر ميلانو شاهد اتيلا صورة تمثل الامبراطور جالسا على العرش ورئيس الهون ساجدا امام قدميه ،فأمر الرسام ان يضع ملك الهون على العرش والامبراطور ساجدا تحت قدميه حتى تكون الصورة اقرب الى الحقيقه . وفي الوقت نفسه لم يكن لدى الايطاليين جنودا يدافعون عنهم فخاطر البابا ليو الاول بحياته في سبيل انقاذهم ،وذهب الى معسكر اتيلا مع مندوبي الامبراطور وسلم كل ما طلبه من الهدايا ووعد لدفع الجزية،وعندما سمع اتيلا باقتراب(اتييوس) تراجع الى بلاده ،في الوقت الذي انتشر وباء الطاعون في جيشه فافنى منه الكثير . وبعد بضعة اشهر مات اتيلا في قريتة الملكية بالقرب من الدانوب عام (٤٥٣م)والقت الشعوب التي اخضعها النبير من نفسها ،ودخل زعماء الهون في صراع دموي من أجل الحصول على التاج مما قلل من اعدادهم وتبددت قوتهم مثل تلك الاعاصير الهوجاء التي تزول ولا تترك ورائها سوى اثار الدمار والخراب.

نهاية الامبراطوريه الغربية:

بعد وفاة بترو تيوس عام (٤٥٥ م)تولى عرش الامبراطوريه في روما افيتوس(٤٥٦-٤٥٥ م)بتدخل من القوط الغربيين ثم تدخلت عناصر السويقي وعينت ما جور يان خلفا له(٤٦١-٤٥٧ م)،واخذ البرابرة يتصرفون في الامبراطوريه الغربيه كما يشاءون لكنهم خجلو ا من تولي منصب الامبراطور .وبدا ماجور يان النبيل الخلق وسط هذا الفساد الذي يحط بالامبراطورية داخليا وخارجيا ،وزاى ان يبدأ بضرب الوندال في الساحل الافريقي فجمع اسطولا لهذا الغرض ولكن هذه الاستعدادات لم تصل الى نهاتها فدمرت،ولعل ذلك مرجعه الى تواطؤ بعض قواده مع الوندال .فعاد ماجوريان من اسبانيا الى ايطاليا كسير القلب ثم ما لبث ان اغتيل .تولى بعد ماجور يان ثلاثة اباطره هم (سفر يوس ٤٦٥-٤٦١ م)وانثيموس (٤٧٢-٤٦٧ م)واوليبريوس (٤٧٢ م).ولكنهم كانو ا اشباح اباطرة ،ونلاحض ان العرش الروماني في روما ظل خاليا لبعض الوقت هذه المرحلة كما حكم جيلسر يوس لمدة عام ٤٧٣ م وجوليوس نيبوس لمدة عام. ايضا ٤٧٤ م ،واخيرا اعطى اورستس البانوني صولجان الامبراطور لولده رومولوس أوجستولوس وهو طفل لم يناهز السادسة من عمره وقد جمع في اسمه ما بين مؤسس روما ومؤسس الامبراطورية . واذا القينا نظرة عامة على المبراطورية الرومانية الغربية في هذه المرحلة نلاحظ أنة قد تم ضياع الكثير من أخزائها ، فقد تراجع الرومان من انجلترا وثغلب الوندال على الساحل الافريقي وسيطر القوط الغربييون على أجزإ من غرب اوروبا كما استقر البرجنديون في جانب من غالة . أما الالمان فقد اتخذوا من الراين الاعلى مستقرا لهم ، واتخذ الفرنجة من الراين الادنى موطنا . وأذنت كل هذه التطورات بنهاية الامبراطورية الغرب . والحقيقة أن مظاهر الانحلال تقامت تفاقما ملحوظا في هذه المرحلة وشمل الاضطراب كافة ارجإ المبراطورية الغربية . وفي هذه الاثنإ ظهر أودواكر احد زعمإ قبائل الهيرول الذي منحته الامبراطورية مستقرات في الاراضي الايطالية . ودخل اودواكر في عام ٤٧٦ م العاصمة رافنا وعزل الامبراطور رومولوس ونفاه خارج ايطاليا . ويعزل امبراطور الغرب اصبح أمبراطور الشرق - الامبراطور البيزنطي - زينو ٤٩١-٤٧٤ م الامبراطور الاوحد الممثل للسلطة الرومانية التقليدية .وقد اعترفت الجماعات الجرمانية التي نزلت في الغرب الاوروبي وأسست لنفسها دولا ومماليك بسلطان الامبراطور البيزنطي وان كان سلطة بأسمة . والمهم ان الغرب الاوروبي ظل منذ عام ٤٧٦ م والكرسي الامبراطوري شاغرا حتى عام ٨٠٠ م عندما نصب شارلمان امبراطورا على الغرب الأوروبي.

الفصل الأول. المحاضرة الثالثة

نظريات في انحطاط الإمبراطورية الرومانية في الغرب وسقوطها.

لماذا سقطت الإمبراطورية الرومانية في الغرب ومتى. يختلف المؤرخون اختلافا كبيرا في هذا الصدد. فهم مختلفون في الأسباب وعللها. ومن الطريف حقا تراهم يتساءلون عن تاريخ السقوط أيضا. أهو في سنة ٤١٠ م أم في سنة ٤٥٥ م أو في سنة ٤٧٦ م أو لايمكن اعتبار سنة ٨٠٠ م خاتمة المطاف لذا فهناك نظريات متعددة متنافرة عالجت الموضوع دينيا ودنيويا فاقطاب المسيحية والوثنية نسبوا سقوط روما من علياءها إلى إرادة السماء. إن رائد الفريق الأول هو القديس اوغسطين

354-430الذي أكد بأن سقوط روما بابل الثانية عبارة عن مرحلة تمهيدية لانتصار مملكة الله الخالدة حيث مصير الإنسانية أنها يد الله آلمرشدة للحوادث الكونية وتوجيهها ولا مفر للبشرية من أتباع الإرادة الإلهية والانصياع لها. وما التاريخ الامسيرة البشرية نحوا دار الخلود. وقد ضمن القديس اوغسطين آراءه في هذا الشأن في كتابه مدينة الله. والذي قصد به الدفاع عن الدين المسيحي ضد التهم التي نسبت سقوط روما بيد الاريك زعيم الغوط الغربيين سنة ٤١٠ إلى تعاليم المسيحية ولنقمة الإلهة الوثنية لترك الدولة عبادتها. ومن أشد المؤرخين الوثنيين في القرن الخامس الذين وجهوا التهم إلى المسيحية وتحميلها مسؤلية سقوط روما هو المؤرخ زوزيموس في كتابه التاريخ الجديد. ارخ فيه الحوادث الرومانية إلى سنة ٤١٠ وأشار بصراحة إلى أن المسيحية من الأسباب الهامة في تردي الأحوال في

الإمبراطورية ويحمل الإمبراطور قسطنطين الكبير المسؤلية الأولى وان سقوط الإمبراطورية في الغرب نتيجة لنقمة الالهة الوثنية هذا وقد ذهبت النظريات الدنيوية مذاهب شتى ومن الأوائل في هذا المضمار اميانوس مارسيلينوس المولود عام ٣٣٠ في أنطاكية دون التاريخ الروماني ابتداء من حكم الإمبراطور نرفا سنة ٩٦ إلى مقتل الإمبراطور فالنز سنة ٣٧٨ ومع كونه وثنيا فقد نسب الكوارث التي احاقت بالرومان إلى ضعف الوازع الخلقي ويشير الأستاذ السورث هنتكتون في مقالة له أن انحطاط الإمبراطورية الرومانية في الغرب يتعامد مع فترات الجفاف التي أصابت العالم وقد سجلت احصايته في فترة ٢٠٠ م-٤٠٠ م نقصا متزايد في نسبة هطول الأمطار أدى إلى الجفاف والمجاعات وإلى تحركات البرايرة وطغيانهم على الإمبراطورية في الغرب. ويرى الأستاذ سيمخوفج رأى هنتكتون تقريبا فانهاك التربة في إيطاليا والولايات التابعة لها حولها إلى مراع. ويقول لو سأل المرؤ فلاحا آنذاك ماهو المربح بالنسبة له لكان جوابه المراعي وان آخر شيء يفكر به الزراعة ومع ذلك فإن المراعي نفسها أخذت بالتحول إلى أراضي جردا في إيطاليا. كما أن اهمال السلطات لمشاريع الري أدى إلى تفاقم خطر المستنقعات التي أصبحت بؤرا للملاريا التي حصدت ارواحا كثيرة من الفلاحين. وعليه فالافلاس الزراعي قرر مصير الإمبراطورية في الغرب. ويعترض المؤرخ بيز على ذلك التفسير الجغرافي. ويعتقد أن الدمار الزراعي لم يشمل كافة الإمبراطورية. فهناك بلاد الغال حيث بقيت زراعتها مزدهرة حتى القرن الخامس وكذلك مصر. وإن التأخر الزراعي في إيطاليا يعود بالدرجة الأولى إلى عدم إشراف المالكين على مزارعهم الكبرى اشرافا مباشرة. اذ تركت الاقطاعيات الكبرى في إيطاليا والمسماة لاتيفونديا. لادارة الوكلاء نيابة عن النبلاء الغائبين في المدن ولم يكن لهؤلاء الوكلاء ذلك الحرص على رفع المستوى الزراعي. أما الأستاذ أندري بيكانويل فيورد جملة عوامل أدت إلى الانهيار الاقتصادي وفي مقدمتها تدهور مؤسسة العبودية. تلك المؤسسة التي التهمت الرجال كالتهام افران صهر الحديد للفحم الحجري. وقد كان من الضروري المحافظة على استمرار معين العبيد أن اريد الدوام للاقتصاد الروماني. غير ان منهل العبيد أخذ في النضوب منذ توقف الفتوحات الرومانية. وما حدث من جراء ذلك كالذي يحدث لافران صهر الحديد عند فقدان مصدر الطاقة الحرارية. ويرى أيضا أن الاتجاهات الاقتصادية في الاقطاعيات الكبرى نحو سياسة الاكتفاء الذاتي اضرت بالمدن وأدت إلى تدمير رأس المال وطغيان الاقتصاد الطبيعي البدائي. ولعل الحروب الأهلية المستعرة في الإمبراطورية منذ عهد ماركوس اورليوس من العوامل الهامة التي ساعدت على اللجوء إلى سياسة الاكتفاء الذاتي في المقاطعات الكبرى. كما ان روما قد أخذت تفقد مركزها التجاري المرموق عندما أصبح الطريق التجاري الممتد بين الراين والدانوب يزاحم طريق البحر المتوسط منذ نهاية حكم الإمبراطور تراجان ويعتقد أيضا أن تدخل الدولة في المشاريع الاقتصادية جعل البلاد أشبه بمعمل يعتمد على العمل الإجباري، وبذلك ارتكبت الدولة عملية انتحارية.اذ ثارت سخط الطبقة العاملة ودمرت الاقتصاد.حقا ان

الظروف الاقتصادية المتأزمة حتمت تدخل الدولة لانتشال الاقتصاد المتدهور.وكافحت كفاحا بطوليا لايقاف الاتجاه نحو الاقطاع.وعلى ما يبدو أن هناك نظاما اقتصاديا جديدا في دور التكوين تميز بالعمل الحر في المقاطعات الحكومية على الأخص.ألا أن هذه الظاهرة التقدمية اعاقها عدم الاستقرار والضرائب الفادحة.ومصدر الشرور هي افة الحرب. ويذهب الاستاد ولبانك الى نفس الرأي السابق الى حد ما.اذ يشير الى أن السبب الحقيقي في انهيار الامبراطورية الرومانية في الغرب بدائية التكنينيك المستعمل في الانتاج.حيث اعتمدوا بصورة رئيسية مؤسسة العبودية واسفر انهيار تلك المؤسسة عن ظهور الاقطاع وخراب الامبراطورية.ان سبب الانهيار الاقتصادي حسب رأي الأستاذ ويسترمان

فقدان الحرية التي عادت بافدح الخسائر على المشروعات الفردية و قضت مدينة الرومان في الغرب، وما عدا ذلك من الاسباب اسباب ثثانوية.ولم ير ويسترمان في مؤسسة العبودية سببا في الانهيار، لأن العمل العبودي يتعامد مع أقصى مابلغته الحضارة من رقي ورفاه غير أن سياسية الاباطرة في الادوارد المتأخرة في تأجير الاراضي الواسعة الى الملاكين ادت الى سياسية الاكتفاء الذاتي وتزايد القوى الاقطاعية جاعلة من الفلاحين مجرد ادوات انتاجية فاضرت بمؤسسة العبودية وكان منها انهيار اقتصاد المدن.أكان سبب التدهور الاقتصادي تسرب الذهب الى خارج الامبراطورية؟ يقول كل من المؤرخين ستريير ومو نرو(كانت الصناعات الرومانية بدائية ولتشبع الحاجات الاو لية ليست للمتاجرة.نعم كانت هناك تجارة بالكما ليات كالعاج والحريروالتوابل والمجوهرات مع الشرق.ألا أن تجارة الكماليات أضرت بالاقتصاد الروماني.فطالما أن الشرق لا يحتاج للصناعات أو المنتجات الرومانية فكان على الرومان دفع ثمن الكماليات المستوردة ذهبا.ونظرا لتناقص كميات الذهب وعدم مقدرة الرومان على تعويضه فقد اثر سلبيا في الأعمال التجارية.وأن ندرة الذهب سببت تقليص العملة وانخفاض الاسعار واختفاء الموارد الأساسية.لقد استند هذا الرأي على ما جاء في كتاب بلني (التاريخ الطبيعي) حول المتاجرة مع الهند والعرب.حيث يقول.تمتص الهند عن طريق التجارة مع الرومان سنويا ما لا يقل عن خمسين مليون ومائة مليون مع العرب والهنود سنويا أيضا.أي ما يعادل مليون ونصف دولار الى الهند وحدها.وما يقارب الخمسة ملايين دولار الى البلاد العربية والهند سنويا.هذا ويرى الأستاذ ويسترمان بأن هذه التجارة كانت في صالح الطرفين ولا يراها سببا في امتصاص الذهب من الإمبراطورية الرومانية. وأشار بأن قلة المعادن الثمينة تعود إلى اكتناز الذهب والفضة داخل البلاد الرومانية لا إلى تسربها إلى الخارج. ويرى البعض أن فشل الاقتصاد الروماني بصورة عامة يعزا إلى احتقار الرومان للأعمال التجارية الصناعية وقد منعت السلطات الرومانية الطبقات العليا بشكل قطعي من تعاطي تلك الأعمال. لأنها من شيمة العبيد ولا تليق بالاسياد. لذا لم تكن هناك رغبة إبداعية لتحسين أدوات الاتاج أما الأستاذ روستوفتزيف فيعتقد بأن أسباب الانهيار تكمن في

ظاهرة النزاع الاجتماعي بين الطبقات انعكس في الصراع الدموي بين البروليتارية الريفية التي ساندها الجيش و بين الطبقات الأرستقراطية في المدن والنظرية بإيجاز أن الإمبراطورية تعرضت إلى صراع حاد بين قادة الجيش في القرن الثالث تحول إلى حروب أهلية ضارية تميزت بسرعة اختيار الاباطرة و ا لاستغناء عنهم بشتى السبل أن ذلك الصراع من العوامل الهامة التي أدت إلى الحكم ولكن ما هي أسباب ذلك الصراع يعتقد البعض أنها أسباب سياسية نتجت عن التنافس بين مجلس الشيوخ و الاباطرة حول السلطة نحو أن هذا الرأي لا يدعمه الواقع. فبالرغم من أن مجلس الشيوخ يضم الطبقة الأرستقراطية العليا إلا أن مساهمته في المجالات السياسية كانت ضئيلة جدا فالصراع الحقيقي لم يكن إذن بين مجلس الشيوخ و الاباطرة. ويعتقد البعض الآخر انه صراع بين الجيش و الاباطرة. حيث ان الجيش لم يعد رومانيا منذ النصف الثاني من القرن الثالث وإنما أصبح يتألف من فرق قليلة التأثر في الحضارة الرومانية. معظمها منويسترمان بأن هذه التجارة كانت في صالح الطرفين ولا يراها سببا في امتصاص الذهب من الإمبراطورية الرومانية. وأشار بأن قلة المعادن الثمينة تعود إلى اكتناز الذهب والفضة داخل البلاد الرومانية لا إلى تسربها إلى الخارج. ويرى البعض أن فشل الاقتصاد الروماني بصورة عامة يعزا إلى احتقار الرومان للأعمال التجارية الصناعية وقد منعت السلطات الرومانية الطبقات العليا بشكل قطعي من تعاطي تلك الأعمال. لأنها من شيمة العبيد ولا تليق بالاسياد. لذا لم تكن هناك رغبة إبداعية لتحسين أدوات الاتاج أما الأستاذ روستوفتزيف فيعتقد بأن أسباب الانهيار تكمن في ظاهرة النزاع الاجتماعي بين الطبقات انعكس في الصراع الدموي بين البروليتارية الريفية التي ساندها الجيش و بين الطبقات الأرستقراطية في المدن والنظرية بإيجاز أن الإمبراطورية تعرضت إلى صراع حاد بين قادة الجيش في القرن الثالث تحول إلى حروب أهلية ضارية تميزت بسرعة اختيار الاباطرة و ا لاستغناء عنهم بشتى السبل أن ذلك الصراع من العوامل الهامة التي أدت إلى الحكم ولكن ما هي أسباب ذلك الصراع يعتقد البعض أنها أسباب سياسية نتجت عن التنافس بين مجلس الشيوخ و الاباطرة حول السلطة نحو أن هذا الرأي لا يدعمه الواقع. فبالرغم من أن مجلس الشيوخ يضم الطبقة الأرستقراطية العليا إلا أن مساهمته في المجالات السياسية كانت ضئيلة جدا فالصراع الحقيقي لم يكن إذن بين مجلس الشيوخ و الاباطرة. ويعتقد البعض الآخر انه صراع بين الجيش و الاباطرة. حيث ان الجيش لم يعد رومانيا منذ النصف الثاني من القرن الثالث وإنما أصبح يتألف من فرق قليلة التأثر في الحضارة الرومانية. معظمها منالقبائل الجرمانية هذا وقد أفسد الاباطرة الجيش بعد انتهاء حكم السلالة الانطونية خاصة عن طريق التملق لقادته لاحتياجاهم إلى دعم القادة العسكريين طالما كانت تنقصهم التبريرات الدستورية في أشغال العرش ومن اجل جعله وراثيا. إن محاولة تحويل العرش من منصب انتخابي إلى وراثي يتنافى مع مفهوم الحرية الرومانية. لذا عمد الاباطرة لتأكيد حقهم الوراثي عن طريق إخماد المعارضة عسكريا. واعتمدوا في ذلك على الجيش الذي طغت عليه العناصر

البربرية المؤمنة بالوراثة أكثر من إيمانها بالانتخاب كشيمة الشعوب البدائية بصورة عامة وأصبحت هذه الظاهرة واضحة منذ عهد الإمبراطور سبتيموس سيفيروس وهنا يتساءل روستوفتزيف لماذا لم يدم توارث العرش في سلالة سيفيروس ما دام الجيش أمن بمبدأ الوراثة بالرغم من معارضة الطبقات الأرستقراطية في المدن ولماذ قلب الجيش ظهر المجن إلى الاسكندر سيفيروس وقتلوه ولماذا هكذا فعلوباباطرة آخرين جاؤ بعده أين إذن تكمن الأسباب الحقيقية أن جوهر الصراع منذ القرن الثالث هو معركة بين الجيش والطبقات الأرستقراطية في المدن صاحبة الأملاك الزراعية. وقد انتهى ذلك الصراع بانتصار الجيش ودمار الأرستقراطية القديمة المتمثلة في المدن تحت أقدام الجيش والفلاحين ولنكن على علم بأن هذا الصراع لم يتضمن وعيا طبقيا موجها وإنما هو صراع عفوي مثل فيه الجيش قوة مدمرة للنظام الروماني في القرن الثالث خاصة لأن اكثريته الساحقة مجندة من أولئك السكان الذين لم يكن لهم نصيب يذكر في منافع ذلك النظام فهم من صغار المزارعين والاقنان بينما تمثل الطبقات الأرستقراطية الملاكين وحكام المدن وعليه فقد كانت هناك هوة عميقة بين الجيش والطبقات الأرستقراطية. وكان المفروض في هذا الجيش الياءس أن يقوم بحماية كيان المدنية الرومانية الأرستقراطية بالإضافة إلى ما يتحمله من أعباء الضرائب والكدح من أجل اعالة الطبقات العليا وبالرغم من التغيرات التي طرأت على الإمبراطورية في نهايةالقبائل الجرمانايا هذا وقد أفسد الاباطرة الجيش بعد انتهاء حكم السلالة الانطونية خاصة عن طريق التملق لقادته لاحتياجاهم إلى دعم القادة العسكريين طالما كانت تنقصهم التبريرات الدستورية في أشغال العرش ومن اجل جعله وراثيا. إن محاولة تحويل العرش من منصب انتخابي إلى وراثي يتنافى مع مفهوم الحرية الرومانية. لذا عمد الاباطرة لتأكيد حقهم الوراثي عن طريق إخماد المعارضة عسكريا. واعتمدوا في ذلك على الجيش الذي طغت عليه العناصر البربرية المؤمنة بالوراثة أكثر من إيمانها بالانتخاب كشيمة الشعوب البدائية بصورة عامة وأصبحت هذه الظاهرة واضحة منذ عهد الإمبراطور سبتيموس سيفيروس وهنا يتساءل روستوفتزيف لماذا لم يدم توارث العرش في سلالة سيفيروس ما دام الجيش أمن بمبدأ الوراثة بالرغم من معارضة الطبقات الأرستقراطية في المدن ولماذ قلب الجيش ظهر المجن إلى الاسكندر سيفيروس وقتلوه ولماذا هكذا فعلوباباطرة آخرين جاؤ بعده أين إذن تكمن الأسباب الحقيقية أن جوهر الصراع منذ القرن الثالث هو معركة بين الجيش والطبقات الأرستقراطية في المدن صاحبة الأملاك الزراعية. وقد انتهى ذلك الصراع بانتصار الجيش ودمار الأرستقراطية القديمة المتمثلة في المدن تحت أقدام الجيش والفلاحين ولنكن على علم بأن هذا الصراع لم يتضمن وعيا طبقيا موجها وإنما هو صراع عفوي مثل فيه الجيش قوة مدمرة للنظام الروماني في القرن الثالث خاصة لأن اكثريته الساحقة مجندة من أولئك السكان الذين لم يكن لهم نصيب يذكر في منافع ذلك النظام فهم من صغار المزارعين والاقنان بينما تمثل الطبقات الأرستقراطية الملاكين وحكام المدن وعليه فقد كانت هناك هوة عميقة بين الجيش والطبقات

الأرستقراطية. وكان المفروض في هذا الجيش الياءس أن يقوم بحماية كيان المدنية الرومانية الأرستقراطية بالإضافة إلى ما يتحمله من أعباء الضرائب والكدح من أجل اعالة الطبقات العليا وبالرغم من التغيرات التي طرأت على الإمبراطورية في نهاية

القرن الثالث .فأن العداء بقي مستمرا بين الأرياف والمدن.ومع أن المدن اخذت تفقد أهميتها في القرن الرابع فقد بقيت أداة للسلطة في جباية الضرائب من الأرياف..فكانت رمزا للتعسف في نظر الفلاحين فقد استمروا في اوضاعهم المزرية.وازدادت حاله البروليتاررية الريفية والمدينية سواء على سوء نتيجة للاصلاحات دقلديانوس.وفي هذه المعمعة طغت العناصر الجرمانية وتسللت الى مراكز القيادة.وتدني الاقتصاد الى مراتبه بتدهور المدن.ولم يعد بمقدور المدن هلنسة جماهير الريف.بل أن الذي حدث هو العكس من ذلك.اذ اخذ الريف يغزو المدن ويعمل على ترييفها وبذلك نشأت عقلية جديدة بين الجماهير.أنها عقلية الطبقات الدنياالمستندة على الدين المعادية للاتجاهات الفكرية للطبقات الارستقراطية والتي بدورها افليت من مثلها العليا واستكانت للضغط الايديولوجي الجماهيري.ويرتأي الأستاذ توييبي أن سبب الانحطاط هو فشل المدينة في ترويض البروليتاررية الداخلية التي ليست لها مصلحة واقعية بمدنية الرومان.وكذلك فشلها في ترويض البروليتاررية الخارجية ويقصد بها جموع البرابرة على الحدود.والمؤرخ كبون نظرية هامة في هذا الموضوع.فقد أشار الى أن الانحلال اخذ يدب في الامبراطورية منذ اواخر القرن الثاني للميلاد على اثر وفاة الامبراطور ماركوس اورليوس سنة ١٨٠ م.ومما يسترعي الانتباه في نظريته أمران.الأول تدفق السيول البربرية علىالامبراطورية.ومارست تلك الاقوام أعمالها التخريبية عن طريقين.الأول بربرة المجتمع الروماني بمؤسساته ونظامه من الداخل.والثاني ما سببته هجماتهم المتكررة من استنزاف للأموال والعناصر الرومانية.وان الثغرات التي احدثوها في خطوط الدفاع الرومانية زعزعت الايمان بالامبراطورية في الداخل وكسرت هيبتها في الخارج وجراتهم على التمادي في الاعتداء والدخول عنوة الى الامبراطورية أن اقتضى الأمر ذلك.أما الأمر الثاني حسب رأي كبون فهو انتشار المسيحية.أما كيفية ذلك.فيراه أن المسيحية معول هدم لكافة القيم الاقتصادية والعسكرية والسياسية في البداية.أذ أن مواقف المسيحية سلبية ازاء السلطات الوثنية ولم تعترف بقدسية الامبراطور الوثني الذي يحمل الوحدة أو الرابطة الدينية لشعوب الامبراطورية على اختلافها.هذا وأن تعاليمها في أول الأمر مثبطة للهم الاقتصادية بدعوتها للكفاف أو الرزق اليومي في ابسط أشكاله.وأن دعوتها ضد العنف والحروب أثرت أيضا في الناحية العسكرية.ناهيك عن التطاحن بين الفرق المسيحية من جهة وبين بعضها والسلطات الحكومية على اثر الاعتراف بها في عهد قسطنطين وشركاه في سنتي ٣١٣-٣١١ والتي أدت الى فوضى ايديولوجية عامة اولى أشغال الحكومة الرومانية.اذ حولت جهود الاباطرة من المعسكرات الى المجالس الدينية.وان الفرق المظهدة أصبحت العدو الخفي للامبراطورية فان

كان اعتناق قسطنطين للمسيحية قد عجل في انحطاط الامبراطورية فأن دينه المنتصرمن ناحية أخرى قد خفف من حدة السقوط اذ عمل على تهذيب وحشية الفاتحين.انبرى عديد من المؤرخين الألمان بصورة خاصة للرد على الاراء التي جاء بها كبون.فاتباع المدرسة التاريخية في القرنالتاسع عشر ذهبوا الى عكس ما ذهب اليه كبون في أمر برابرة الجرمان واعتبروا العنصر الجرماني مدعاة قوة للامبراطورية.لان الجرمان لم تكن لهم نية عند نفوذهم الى داخل الحدود الرومانية غير الاحتماء بالامبراطورية من اقوام أشد بربرية منهم وطلبا للعيش بعد أن شحت عليهم الطبيعة بجهودها في مواطنهم الاولى.كما أن الحوادث التاريخية قد أثبتت أن القسم الأكبر من هذه الجموع الجرمانية كانت خير عون للامبراطورية في الناحيتين العسكرية والاقتصادية.بتطوعهم في الجيش وباشتغالهم بالانتاج الزراعي.ولهم أيضا نظرة اكبار للمدنية الرومانية.هذا بالأضافة الى ان دخولهم الامبراطورية لم يكن كليا عن طريق القوة ولم يكن مفاجئا.بل ان الرومان كانوا في تعامل مع هذه القبائل سلميا أم حربيامنذ القرن الثاني قبل الميلاد.ويستشهدون بذلك عما جاء به المؤرخ تاكيتوس في القرن الثاني الميلادي.من أخبار عن فضائل الجرمان.اذ وصفهم بالشجاعة والاخلاص.وأثنى على نسائهم وفضلهن عفة على نساء الرومان.أما الردود على نظرية كبون في تحميله المسيحية مسؤولية الانهيار فتتخلص بما يأتي.ان الكنيسة ذات رسالة قصد بها الخير لتلك المجتمعات انذاك.فدعت الى الايثار والمساواة والسلم.وهي الاداة التثقيفية للاقوام الجرمانية وغيرها.أذ كسرت كثيرا من حدتهم وعملت على ترويضهم وللكنيسة أيضا مواقف عدة كانت فيه عونا للسلطات في حفظ النظام والتوسط بينهما وبين الجموع الغازية.ومثلت أيضا هامل في نقل الحضارة الرومانية من جيل الى اخر.ثم أصبحت فيما بعد من أكبر دعاة الامبراطورية المسيحية.ولنتذكر بأن المؤرخ كبون ينتمي الى المدرسة العقلية التي اشتدت ساعدها في القرن الثامن عشر خاصة.الناظرة بازدراء الى تراث العصر الوسيط لعدم مسايرة الكثير من جوانبه للتحليل العقلي.معتبرا ذلك التراث انتكاسة في تاريخ المدينة الأوروبية.هذا ولم ير المؤرخ النمساوي دوبش أن الغزوات الجرمانية سببا في انهيار الامبراطورية.وأن ما حدث هو اعاده توزيع الأراضي علىنطاق واسع حسب العادات الرومانية ولم يؤد ذلك الى عودة الى الاقتصاد البدائي أو انقطاع في التجارة.ويتفق الأستاذ pirenneمع ذلك الرأي مضيفا عليه بأن العرب هم الذين دمروا وحدة البحر المتوسط وشلوا التجارة بين الشرق والغرب وامتصوا الذهب من أوروبا وأدت توسعاتهم الى انتقال التجارة الاوربية من البحر المتوسط الى بحر الشمال..وأجبرت أوروبا بعد ان انقطعت مواصلاتها مع بيزنطه عن طريق البحر المتوسط على الاعتماد على نفسها.وهناك تفسيرات بايولوجية أو كما يشار لها بالنظريات العضوية لسقوط الامبراطورية الرومانية في الغرب.حيث شبه قسم منها حياة المجتمعات بعمر الأفراد.فهناك دورة حياتية متمثلة في الولادة والنضج ثم الفناء.وعليه فالمدنيات كالافراد صائرة لا محالة الى الموت.ويأخذ بذلك الرأي الأستاذ اسكويت اذ يقول (أن خلايا

الامبراطورية الرومانية وانسجتها قد بلغت نهايتها المحتمة كأي شيء حي) ويعتقد الأستاذ شسبنكلر أيضا بأن التاريخ عامة يسير في اتجاه قرر سلغا من الولادة الى الطفولة ومن الى المشيب وحيث الموت.أما الأستاذ فرانك فيعتقد بأن انهيار الامبراطورية كان لأسباب رسية أي تغلبت الدماء الشرقية على الدماء الرومانية.وتستند نظريته على دراسة اجراها على اسماء الموتى في مقابر ايطالية توصل منها الى نسبة المواليد في الأدوار الأخيرة من تاريخ الرومان كانت تستعين بالمائة من غير الرومانيين.لذا سادت القيمالشرقية التي توضحت في الاتجاهات الدينية وظهور الاستبدادية على الطراز الشرقي وتدهور الاداب اللاتينية وفقر الحكم الى شخصيات موهوبة.وقدردت الاستاذة ماري كوردون على ذلك الرأي بقولها أن الاسماء التي عثر عليها الأستاذ فرانك مظللة تاريخيا.اذ يطلق تجار العبيد عادة اسماء مختلفة على عبيدهم حسبما يشتهون ولا تدل هذه الاسماء بصورة علمية على جنسيات هؤلاء العبيد واصولهم.بالأضافة الى أن دراسة الأستاذ فرانك اقتصرت على ثلاثة قرون درس فيها (١٣٩٠٠) قبرا كتب عليها اسماء الموتى.لهذا فلا يصح تعميم ذلك الاحصاء نظرا لطول الفترة وقلة الحالات المدروسة نسبة الى عدد السكان.كما أن الاسماء التي عثر عليها كانت في المقاطعات الرسمية.فما بالك بالاف البروليتارية الذين يدفنون في مقابر عامة بلا تمييز ولا شارات؟ وعليه فأن النموذج الدراسي الذي توصل اليه الأستاذ السابق لا يمثل النسبة بين عدد الأحرار العبيد في الامبراطورية بشكل علمي.ويأخذ الأستاذ نلسون بالنظرية الرسمية أيضا.حيث يشير الى ان أهم مشكلة صادفتها الامبراطورية هي مشكلة الرس اذ قامت مدينة الرومان على نقاوة الرس وقد شابت العناصر الأجنبية نقاء العنصر الروماني في وقت كانت فيه نسبة ولادة الرومان في تناقض.وهنا يعلق الأستاذ بيينز على ذلك بقوله (عندما تستعمل كلمة الرسية في تفسير حوادث التاريخ فمن الاجدر بي ان الوذ بالصمت) ويعلق الأستاذ كاتز على الرسية بقوله (أن الذين يعتقدون بأن سبب الانحطاط هو استنزاف العنصر الروماني الممتاز عن طريق الحروب أو لعدم رغبة الرومان في انجاب النسل.وأن العناصر الرومانية الجيدة ابتلعتها العناصر الرديئة.لا يستندون الى الواقع.ويمكن للانسان أن يتبين خطل هذا الرأي بعدم وجود أدلة على أن العناصر الممتازة هي وحدها التي هلكت في الحروب.كما أن الدليل لم يقم على وجود أجناس متفوقة واخرى رديئة بين البشر .ولم يثبت لدينا علميا بأن العناصر

الرومانية الممتازة حاولت الانتحار الرسي باضرابها عن تخليد الرس ولا يعتقد الأستاذ بيوري بأن سبب الانهيار كان السكان. اذ يشير الى أنه لا توجد أدلة عملية على أن نفوس الامبراطورية في القرنين الرابع والخامس أقل مما كانت عليه في القرن الأول الميلادي.وأن قلة المواليد في ايطاليا لا تفسر لنا الانهيار في القرن الخامس اذ بقيت الامبراطورية محتفظة

بجيش يربو على المائة ألف مقاتل.ولا يرى الأستاذ كاتز أيضا بأن نقص السكان من جراء الاوبئة كالطاعون والملاريا في ايطاليا بصورة خاصة سببا أساسيا في الانحطاط. ويعتقد المؤرخ بورغ أن الاصلاحات المدنية والعسكرية التي أجراها دقلديانوس ٢٨٤-٣٠٥ مسؤولة الى حد ما عن تصدع الكيان الروماني في الغرب.فبالرغم من أراد تقوية الجهاز الحكومي بوضع حد للمفاسد ولتمكين الامبراطورية من الدفاع عن الحدود ألا أن النتيجة كانت عكس المطلوب.فالفصل بين السلطتين العسكرية والمدنية أدى أن ارباك الوضع.هذا بالأضافة الى تعدد الوحدات الادارية الصغرى التي احتوتها الأقاليم الأربعة لكل من الغال وايطاليا واليريا والشرق.وأدت هذه الى زيادة عدد الموظفين واشتداد البيروقراطية وعرقلة الأعمال.كما أن تقسيم الامبراطورية من ناحية ادارية الى شرقية واخرى غربية بين امبراطورين وقيصرين لم يساعد على القضاء على النزاع حول الاستئثار بالسلطةعند موت أحد الامبراطورين كما توقع دقلديانوس.بل أدى الى حروب اهلية منذ سنة ٣٠٥ الى ٣٢٤ ومنذ وفاة قسطنطين الكبير سنة ٣٢٧ الى ٣٥١ .كما أن معالجته الوضع الاقتصادي المنهار بجعله الصناعة والتجارة تحت الاشراف الحكومي المباشر وجعل المهن وراثية قتلت الابداع وولدت التذمر.ومهما تعددت النظريات والاراء في تعليل سقوط الامبراطوريةالرومانية في الغرب فلا بد وان يستشف المتأمل فيها بان هناك تحولاتخطيرة في المجتمع الروماني وبدت في تصدع مؤسسة الانتاج الكبرى وانهيارها ألا وهي مؤسسة العبودية الحجر الأساسي في كيان الامبراطورية في الغرب.أن تدهور تلك المؤسسة حتم ظهور علاقات اجتماعية جديدة مستندة على نوع العلاقات الانتاجية الحديثة انذاك.وكانت هذه الظاهرة هي اليد الخفية وراء البلبلة التي أصابت الرومان في الغرب في كافة نواحي مجتمعهم وفككت عراه.وقد اسرعت السيول الجرمانية المتدفقة على الامبراطورية في عملية تلك التحولات في المجتمع الروماني عن دون قصد طبعا والتي اذنت بحلول عصر جديد .اهناك اتفاق على السنة التي زالت فيها الامبراطورية الرومانية في الغرب؟ ان الاجابه عن ذلك السؤال حيوية بالنسبة للموضوع طالما ان نهاية الامبراطورية الرومانية في الغرب هي بداية العصر الوسيط.يختلف المؤرخون في تحديد تاريخ السقوط اختلافاً كبيرا ومحيرا.ايمكن اعتبار انتصار قسطنطين على خصمه ماكستنيوس سنة ٣١٢ في ملفيان في ايطاليا بداية للعصر الوسيط لمجرد اتخاذ الراية المسيحية شعارا له اذ تشير الراية عند البعض الى تحول اديولوجي خطير وأن اعترافه بالمسيحية فاتحة مرحلة جديده بالتاريخ .ايمكن اعتبار سنة ٤٧٦بداية للعصور الوسطى ؟ وذلك على اثر الانقلاب الناجح الذي دربه الجنرال الجرماني ادوكر ضد روميلوس وحصوله على موافقة مجلس الشيوخ الروماني والامبراطور زينو الذي كان يحكم القسطنطينية .أن قسما من باحثي التاريخ لا يرون في تلك السنه سقوطا للامبراطور ولو أنه فرض نفسه على روما فرضا .كذلك لم يشهد ذلك التاريخ جيوشا غازيه ولا معارك شاريه وأنما تمت عملية مجيء ادوكر للحكم بصورة سلميه .وتسأل البعض لماذا لا تكون سنه ٤١٠ أو سنه ٤٥٥ من

التواريخ الفاصلة في هذا الشأن؟ فقد استولى الاريك في التاريخ الاول على روما فعلا بعد حصار شديد ومعارك عنيفة وعاثت جموعه الغوطية الغربية في احياء المدينة ولم تسلم منه غير دور العبادة.أن المؤرخ الايطالي فلافيوبايوندي قد اعتبر سنة ٤١٠ بداية للعصر الوسيط في كتابة تاريخ روما الذي وضعه في منتصف القرن الخامس عشر.أما التاريخ الثاني أي سنة ٤٥٥ فقد تعرضت فيها روما لمخاطر هائلة من قبل جيوش الو اندال التي عبرت اليها من شمال افريقيا ولم ينسحبوا منها ألا بعد امتصاص ثرواتها المنقولة ولتدخلات البابا ليو الكبير.أو هل يمكن اعتبار سنة ٥٦٥ نهاية للحكم الروماني في الغرب؟ لقد اعاد الامبراطور جستنيان الأول ايطاليا وبعض الاجزاء الاسبانية وشمال افريقيا الى الرابطة الرومانية.ألا أن أكثرية ايطاليا خرجت عن السيطرة الرومانية بعد قليل من وفاته.أو يمكن اعتبار سنة ٨٠٠ م نهاية لسلطة الرومان النظرية على الغرب كما يراها المؤرخ بيوري؟ ففيها قد أصبح شارلمان ملك الفرنجة امبراطورا على الغرب وبذلك انتهت سيادة الرومان على القسم الغربي من الناحيتين العملية والنظرية.غير أن للمؤرخ بيرين رأي اخر اذ يعتبر فيه نهاية العصور القديمة في أوروبا تبدأ في القرن الثامن أي في الوقت الذي سيطر فيه العرب على مياه البحر المتوسط واستولوا على اسبانيا وشلوا التجارة الغربية.ومهما يكن من أمر فأن السلطة الفعلية في الغرب قد انتقلت الى عناصر جرمانيةمنذ النصف الثاني من القرن الخامس على الأخص .ولم يشهد الغرب امبراطورا يحكم في ايطاليا منذ انقلاب ادوكر.ولعل ذلك من المبررات التي تجعل سنة ٤٧٦ نهاية للامبراطورية الرومانية في الغرب وبداية للعصر الوسيط بالرغم من أن السنوات لا تحدد التطورات التاريخية من حيث البداية أو النهاية .ومع ذلك فأن انقلاب ادوكر جاء منسجما مع حصيلة التطورات العامة في المجتمع الغربي انه احب حبا فاشلا .بدأ حياته الانعزالية في عمر الخامسة عشر في وادي سابين على بعد خمسة اميال من سوبياكو .واشار البابا كريكوري العظيم في كتابه dialogueالى كيف ان بندكت جاهد نفسه لنسيان المراءة بقوله(لقد وعى نفسه على حين غرة فالقى بجسمه على الاشواك عاريا متمرغا عليها مدة من الزمن وما ان نهض حتى كان لحمه ممزقا .ان جراح الجسم ابرات جراح الروح ...)وبعد بقائه هناك بضعة سنوات هرع اليه الرهبان من الاماكن المجاورة وانتخبوه رئيسا .ولكنه حذرهم بان طريقته الديرية قد لا تروق لهم .وبعد بضعة اشهر حاول التخلص منه عن طريق دس السم له في كاس شرابه .وعندها عاد ثانية لحياة الانعزال وتجمع حوله عدد من المؤمنين الأحداث. وأخيرا قرر التوجه الى مونت كاسينو مع قسم من اتباعه .فاسس هناك ديرا على انقاض معبد وثني سنة ٥٢٩. ووضع فيه انظمته الديرية التي أصبحت قدوة لمعظم اديرة الغرب ..واهم ما جاء في تعاليمه ان يمر المرشح للرهبة بفترة تجربة .فان قرر فيها الاستمرار فعليه ان يكتب تعهدا خطيا مشهدا عليه الشهود .ثم يودع التعهد في الدير باحتفال ديني .وعلى الراهب عدم مغادرة الدير بدون اذن الرئيس .والرئيس ينتخبه الرهبان وعليه ان يشاورهم في كافة الامور الهامة .والقرار النهائي له وعلى الرهبان

اطاعته ويجب على الرهبان التصرف بجد وصرامة .فلا ثرثرة ولا ضحك بصوت مرتفع ولا همز ولا غمز ..ولا يملكون شيئاً لأنفسهم. ان كل شئ يعود الى الدير .ان الدير يرحب بالضيوف كما لو كان يرحب بالمسيح نفسه. ويجب على كافة الرهبان الاشتغال في الحقل او الحانوت او في استنساخ المخطوطات. ومن واجب الراهب الاستقامة الخلقية واسعاف الفقراءواكساء العريان والاعتناء بالمرضى.وبذلك أصبحت الديرية البندكتية حمى و ملاذ للبؤساء الذين انخ عليهم الدهر بكلله في عهد الفوضى.هذا وقد اخذ قسم من النساء في القرن الرابع يقلدن الرهبان في العيش الانعزالي والتعبد متخذات العفة والفقر والطاعة شعارات لهن.وقامت شقيقه القديس بندكت بشولا ستيكيا بتأسيس دير نساء قرب مونت كاسينو باشراف اخيها سنه ٥٣٠

الفصل الرابع الفرنجة. المحاضرة الرابعة

الميرفنجيون.

لقد أشرنا إلى أن الفرنجة من القبائل الجرمانية. استوطنت الجهات الشمالية الشرقية من نهر الراين في جهات فلا ندرز ومنها إلى بلاد الغال. هذا ومن الصعب الوقوف على أخبارهم التاريخية وتنظيماتهم الاجتماعية والسياسية في مرحلتهم المبكرة لعدم تيسير المصادر عن تلك الفترة وقد يكون كتاب تاريخ الفرنجة الذي ألفه كريكوري أسقف مدينة تور في القرن السادس من المصادر التي تلقي الضوء على الموضوع بالرغم من نواقصه. ومع ذلك فقد

أصبح هذا الكتاب مرجعا لثقاة المؤرخين في هذا الشأن. إن أول ملك فرنجي عرف باسم كلوديو الذي هاجم كولون سنة ٤٣١ وتوغل في بلاد الغال حتى نهر السوم جاعلا مدينة تورني عاصمة له إلا أن العلاقات بين الفرنجة والسلطات الرومانية طرأ عليها بعض التحسن في عهد الملك مير وفج وقد ساهم هذا مع القوات الرومانية التي كانت بقيادة اثيوس سنة ٤٥١ في مقاومة قبائل الهون الآسيوية التي كانت تحت قيادة اتيلا وميروفج هذا عبارة عن اسم استعاري معناه ابن البحر. تولى الحكم بعده شلدريك الأول سنة ٤٥٦ الذي استأنف الغارات على المناطق الرومانية في بلاد الغال. فاستولى على مدينة انجر على نهر اللوار وقد اغرى شلدريك زوجة ملك ثورنجيا المسماة بازينا على الزواج منه فولدت له كلوفس مؤسس فرنسا وتحدر من صلبه ثمانية عشر ملكا كلوفس ٤٨١-٥١١ ينتمي هذا إلى الفرع السالي من قبائل الفرنجة. بدأ حياته ملكا على إحدى الدويلات الفرنجية الكائنة في الأجزاء الشمالية الشرقية من بلاد الغال إلا وهي اوستراسيا وتمكن من السيطرة على المناطق الكائنة بين نهري السين واللوار بما فيها باريس والتي كانت تابعة إلى الحاكم الروماني سياكريوس سنة ٤٨٦ بعد معركة سواسون كما بسط نفوذه على قبائل الاتحاد الألماني القاطنة الجهات الجنوبية الشرقية من بلاد الغال سنة ٤٩٦ يعتبر كلوفس المؤسس الحقيقي للمملكة الميروفنجية وهناك جملة حوادث هامة في عهده فقد اعتنق المسيحية الكاثوليكية ويعزى ذلك

على الأغلب للتاثيرات زوجته المسيحية كلوثيدا إحدى اميرات البرغنديين. أما المناسبة التي اعتنق فيها ذلك الدين فكانت على إثر انتصاره على قبائل الألماني حيث نذر للمسيح نذرا قبيل المعركة بأنه سوف يعتنق المسيحية الكاثوليكية هو وأتباعه أن كتب له النصر وقد وفي بنذره على إثر الانتصار ويقال بأنه اعتنق المسيحية نتيجة للمساعدات القيمة التي قدمها له الرهبان في معركته مع قبائل الألمان كان لاعتناق كلوفس المسيحية حسب مذهب كنيسة روما نتائج بعيدة المدى في تاريخي فرنسا والبابوية. فهو أول ملك جرماني يعتنق الكاثوليكية لأن القبائل الجرمانية المنتصرة في جهات أوروبا الغربية كانت اريوسية واتخذ كلوفس وخلفاؤه من الدين ستارا لتوسيع مملكتهم ودعم حكمهم وأصبحوا حماة الكثلكية في داخل فرنسا وخارجها. وساهمت الكنيسة بشكل فعال في انتصار كلوفس على الغوط الغربيين في الأجزاء الجنوبية الغربية من فرنسا. إذ بدأت غاراته عليهم سنة ٥٠٧ بحجة ان هؤلاء من الملرقين الاريوس. وكتب له النصر في موقعه على بعد عشرة أميال من بواتيه قتل فيها ملك الغوط الاريك الثاني واضطر ابنة املوريك إلى الانسحاب إلى إسبانيا. وبهذه المناسبة ارسل إليه الإمبراطور البيزنطي اناستاسيوس وفدا للتهنة واسبغ عليه لقب القنصل مع شارات الحكم المتعلقة بذلك المنصب الروماني شهد حكم كلوفس بداية امتزاج القيم الثقافية البدائية الفرنجة مع التراث الروماني. اذ اتبع أساليب الحكم الإدارية التي كانت شائعة في بلاد الغال. وأصدر عملة شبيهة بالعملة الرومانية واضعا عليها حرف أسسه الأول بجانب اسم الإمبراطور اناستاسيوس. ثم

دون القوانين الفرنجية في فترة ٥٠٧-٥١١ ويشار إلى شريعته بالقانون السالي نسبة إلى مجموعة القبائل الفرنجية التي ينتمي إليها

كلوفس. قام بجمع ذلك القانون أربعة من زعماءهم وصادقت عليه ثلاثة مجالس عقدت تباعاً من أجل التأكد من صحته بحثت الشريعة السالية في العقوبات والتعويضات ووراثة العرش بعد مقدمة طريفة لمدح الفرنجة. اذ جاء فيها. إن الفرنجة شعب مجيد حكيم نقض عن كاهله النير الروماني العاتي. اعتمدت الشريعة السالية في القضاء على دلائل البراءة عن طريق الشهود والتحكيم المحني. والمبارزة. اذ يحتاج المتهم لإثبات براءته على عدد معين من الشهود حسب أهمية الجريمة. فالبراءة من القتل تحتم على المتهم إحضار اثنين وسبعين شاهدا. أما في حالة الطعن في عفاف الملكة فيحتاج الأمر إلى ثلاثمائة نبيل ليشهدوا على صحة نسب طفلها. ويلجأ إلى التحكيم المحني فيما إذا كانت دلائل إثبات البراءة غير واضحة. وهناك انواع متعددة من التحكيم المحني. فقد يرمي بالمتهم موثوق اليدين والرجلين في نهر أو بحر أو بركة فإن غطس قليلا فيعتبر. بريئا. وإن طفا فوق سطح الماء بسرعة غير متوقعة فيؤخذ بجرمه لأن الماء لا يحتضن غير الطاهرين أو أن يجير المتهم على السير بين النيران الملتهبة أو عليها أو على حديد متوهج أو أن يمسك به أو أن يلتقط قطعة مامن قعر مرجل تغلي فيه المياه ثم تشد حروقه لمدة من الزمن فإن لم تشف في الوقت المعقول فهي الدلالة على أن النار قد أن امضت به وان النار لا تمس الأبرار.ان التحكيم المحني من أساليب القديمة التي لجأ اليها البشر في تحكيم. قوى الطبيعة الخرساء في معرفة البريء من السيء. ثم هناك التحكيم عن طريق السيف لإظهار الحق وان الله مع المنتصر. وكانت المبارزة إجبارية عند القبائل الدانية في شبه جزيرة سكندناوة منذ القرن الأول الميلادي وكذلك كانت منتشرة بين القبائل الجرمانية. وحدث أن احتج أحد رجال الدين لدى ملك البرغنديين كوندوباد بأن المبارزة تظهر البراعة لا البراءة فأجابه

الملك الم يكن صحيحا بأن نتائج الحروب تتحكم فيها إرادة الله لقد عين القانون السالي غرامات على اختلافها. فدية القتيل يدفع ثلثها للدولة والباقي لعائلة المجني عليه وتتراوح الديات والغرامات بحسب منزلة المجني عليه اجتماعيا. فإن قطع رجل كف امرأة فيغرم بما يعادل خمسة عشر دينار. ويغرم بما يعادل خمسة وثلاثين دينار أن قطع ذراعها. وإن قاربها بدون رضاها فعليه غرامة خمسة وعشرين دينار. أما الاعتداء الذي يقوم به الروماني ضد الفرنجي فغرامته ٢٥٠٠دينارا. وإن حدث العكس فالغرامة ١٤٠٠دينارا أن دية القتيل الفرنجي تساوي ٨٠٠٠دينارا والروماني ٤٠٠٠دينارا وان لم يقبل أهل القتيل بالدية فيمكنهم الأخذ بالثأر. ولعل أهم فقرات الدستور السالي هي التي نصت على عدم تورث المرأة أي جزء من التركة. وعلى هذا الأساس رفضت فرنسا في القرن الرابع عشر ادعاء الملك الإنكليزي

ادورد الثالث بالعرش الفرنسي عن طريق والدته ازابيلا فكان من الرفض حرب المائة عام. والسبب في حرمان المرأة من الوراثة الممتلكات أن الأخيرة تحتاج إلى قوة الرجال للدفاع عنها وعلى العموم فإن الدستور السالي لم يكن ملائما للمرأة ومع ذلك فقد جعل دية المرأة ضعف دية الرجل وذلك لأنها من المحتمل ان تكون اما لعدة اطفال. غير أنه من ناحية اخرى كالقانون الروماني جعل المرأة تحت وصاية أبيها أو زوجها أو ابنها . وجعل الموت عقوبة الزانية بعد الزواج ولم تكن تلك العقوبة للرجل الزاني. بدأ حكم الميروفنجية بالتفكيك حال وفاة المؤسس. ويعزا ذلك بالدرجة الأولى إلى عدم وجود قاعدة ثابتة لوراثة العرش والتي أدت إلى حروب أهلية تكاد أن تكون متواصلة. اذ قسم كلوفس المملكة بين أولاده الأربعة فأصبحت اوستراسيا من حصة الابن الأكبر ثيودوريك وتعتبر اوستراسيا الموطن القديم الفرنجة الريبوربين واشتملت على حوضي الراين والمين. وكان مقر الدولة في كولون إلا أن الملك كان دائم التنقل بين مدينتي ريمز ومتز. وسع ثيودوريك حدوده على حساب الغوط الغربيين وعهد كلوفس إلى ابنه شلدييز وداي السين وكانت باريس عاصمته. وحكم الابن الثالث شلودميز وادي اللوار والكارون متخذاعاصمته في اورلين أما مناطق الراين السفلى فكان من حصة شلوتاشاريوس وعاصمته سواسون. ولقد تقاسم هذا مع شلدييز حصة اخيهم شلودومير عند مقتله سنة ٥٣٣. كان التوسع الهام الذي حدث في عهد خلفاء كلوفس على حساب الجهات الشرقية اذ تمكن ثيودوريك سنة ٥٣١ من الاستيلاء على ثورنجيا الكائنة في الأقسام الشمالية من نهر المين ثم أصبح محاددا لمناطق السكسون. أما خلفه تود بير ٥٣٣-٥٤٨ فاضاف إلى اوستراسيا إمارة بافاريا. وقد استغل هذا حروب جستنيان ضد الغوط الشرقيين في الايطاليا فملك س سبيلا انتهازيا بين الطرفين واغار على المناطق الشمالية الايطاليا وكان يطمح في إعداد حملة للاغارة على القسطنطينية ويمثل حكم ابنه تيودبالد ٥٤٨-٥٥٥ كارثة بالنسبة لاوستراسيا اذ هاجم إيطاليا في اوج انتصارات نارسس قائد جستنيان على الغوط الشرقيين والذي أنزل بجيوش الفرنجة هزيمة كبرى في موقعه ابوليا لقد مات ثيوبالد بلا وريث من صلبه فانتخب القادة عمه لوثر الأول أو كما يسمى شلوتاشاريوس والذي كان من أكثر حكام الميرفنجيين شرا ومع ذلك فقد توحدت البلاد في عهده سنة ٥٥٨ على إثر موت أخيه شلدبير والاستيلاء على املاكه وهكذا حكم لوثر الأول كافةالمناطق التي خلفها كلوفس بما فيها برغندي وسالتر المناطق التي ضمتها سابقا اوستراسيا. وكان عمر لوثر سبعين سنة حينما انفرد بالحكم ولم يقلل كبر السن من ضراوته وقسوته فقد أعدم ابنه شرام وعائلته حرقا حينما اشترك بثورة فاشلة ضده غير أن هذه الوحدة الميروفنجية لم تدم غير ثلاث سنوات اذ قسمت البلاد ثانية على إثر وفاة لوثر سنة ٥٦١ وبذلك انتهى عصر التوسع الميروفنجي. يقع تاريخ الميرفنجيون في فترة الكائنة بين ٥٦١-٧٥١ في ثلاث مراحل حكم الميرفنجيون بصورة فعليه في المرحلة الثانية ٦٣٩ ٦٣٩ المرحلة. الاولى قسمت المملكة سنة ٥٦١ على إثر وفاة لوثر الأولى فكانت حصص الورثاء كالآتي حكم

شاربير إمارة نوستريا وتشمل باريس والجهات الغربية. من بلاد الغال فاز سيجبر باوستراسيا. أصبحت برغندي وبعض المدن الهامة بما فيها مارسيل من نصيب كونترام حكم شيلبريك المناطق حول سواسيون وتورني هذا وقد تقاسم الاخوان الثلاثة سنة ٥٧٦ مملكة نوستريا عند وفاة اخيهم شاربير ولدت هذه القسمة إلى حروب دامت أربعين سنة. اقترن النزاع حول الاستئثار بالحكم بحروب ثأرية بين سيجبر وشيلبريك واحفادهما واشترك فيها كافة النبلاء والاساقفة تقريبا وبداية ذلك زواج سيجبر من الأميرة الغوطية الغربية برونهيلد بنت ملك الغوط وحفز ذلك الزواج أخاه شيلبريك للاقتران بالاخت الأخرى كالوستنا غير أنه هجرها مفضلا عشيقته فريدكوندوعندما طالبت زوجته الرجوع الى ابيها وجدت ميتة في فراشها .لذا طالب سيجبر بثأرها .وقد فضل شيلبرك أن يقدم مقاطعة اكويتين الى سيجبر كدية للقتيلة .غير أن زوجة الأخير يرونهيلد اصرت على الثأر من القتلة .وهكذا بدأت الحرب الأهلية سنة ٥٧٣ واستمرت أربعين سنه هلك فيها الكثير من الناس والملوك والامراء وولدت كراهية بين قسمي الفرنجة الشرقي والغربي. تمكن سيجبر من احراز انتصارات متوالية على جيوش أخيه ووقعت تحت سيطرته المناطق الممتدة بين نهري اللورا والسين .وبينما كان يحتفل باعلانه ملك في مدينة تورني بدل شيلبرك تمكن والدا فريد كوند سنة ٥٧٥ من اغتياله .وبذلك رجحت كفة شيلبرك .ومع أنه القى القبض على يرونهيلد فقد عفا عنها وتوج أحد أبنائها البالغ من العمر خمس سنوات شلدبير الثاني ملكا على استراليا. أما كونترام ملك يرغندي فقد تحالف مع العناصر المناوئه أخيه شيلبرك .يحيك المؤامرات مع أنصار يرونهيلد وأعلن أن ابنها شلدبير الثاني سيكون خليفته .وقد هادئت الأمور نسبيا عند اغتيال شيلبرك سنة ٥٧٥ أثناء تصيده في أحدأ الغابات .لم يرتح رجال الدين الى تصرفات شيلبرك طيلة حكمه .اذ قال عنه كريكوري اوف تور : لقد حرق ودمر مناطق عديدة ولم. يشعر بوخز الضمير لابل تراه فرحا مستبشرا بفظائعه .ما أشبه الطاغية نيرو الذي طفق وقصر يشتعل نارا .ومع أنه ألف كتابين في التراتيل الا أنه ضعيف الالمام بالاتينية والموازين الشعرية ...كان شديد المقت الازدراء الملابس الرهبان ولم يتورع بكيل الشتائم الى الاساقفة .وكثيرا ما يسوق النكات الجارحة ضدهم في مجالسه الخاصة .كثير الحسد لثروات الكنيسة.ومااكثر ما سمع عنه القول :انظروأ الى حالتنا الاقتصادية المزرية بينما ترون بأم يعينكم كيف أن الأموال تنهال على الكنائس لقد أصبح الاساقفة أسياد البلد .أن مقتل زوجي برونهيلد و فردكوند أحدث ارباك في توازن القوى في الصراع الميروفنجي مما فسح المجال الى كونترام أن يستغل الوضع لصالحه بأساليب مهدئه .اذ اصدر الامان لاتباع شيلبرك واغدق الامتيازات على الكنائس وتعاون مع شلدبير الثاني الذي قد كان أعلنه ولي عهده .فعاد الهدوء مؤقتا على اثر معاهدة اندلوت التي عقدت سنة ٥٧٨ بين كل من برونهيلد وكونترام و شلدبير الثاني عند اقتسامهم نوستريا.لقد توفي كل من وكونترام سنة ٥٩٢ وشلدبير الثاني سنة ٥٩٥ فاصبحت برونهيلد وصية على حفيدها ثيبر متخذة مدينة متز مقر لها .وحكم حفيدها الآخر ثيري

يرغندي.عانت برونهيلد الشدائد من تمرد أمراء اوستراسيا الذين اجبروها سنة ٥٩٩ على الفرار الى يرغندي .واخذت من هناك تدير الحرب ضد الاوستراسيين. غير أن والاوضاع ازدادت ارتباكا حينما انقسم الاخوان ثيري و ثيبر على نفسيهما واسفرت الحرب بين الاخوان سنة٦١٢ عن مقتل الاول .ولم يتمتع ثيري بهذا الانتصار اذ توفي سنة ٦١٣ تاركا اربع أبناء دون سن الرشد .لذأ ارادت برونهيلد أن تكون وصية على اكبرهم البالغ من العمر اثنتي عشر سنة .ولم يرق ذلك لأمراء يرغندي فتحالفوا سرا مع ملك نوستريا لوثر الثاني .واسفر هذا التحالف على القاء لوثر القبض على اولاد ثيري فاعدم الاخوين الكبيرين واحتفظ الثالث ميروفج ولم على اثر الرابع .ثم القى القبض على برونهيلد. حيث اتهمت المآسي التي أصابت الميروفنجيين وبتدبير الاغتيالات فحكم عليها بالاعدام بعد تعذيب لثلاث أيام .وكان اعدامها بطريقة بشعة سنة٦١٣ .لقد ذهبت برونهيلد ضحية لازدياد نفوذ الامراء الذين اصبحوا ينازعون الملوك سلطانهم .كما أن الانتصارات التي حققها لوثر الثاني ملك نوستريا على برونهيلد كانت تأكيد وسطوة الامراء وخاصة في برغندي .جرت عملية اعادة الهدوء الى المماليك الميروفنجية لثلاث في عهد لوثر الثاني في مؤتمر باريس المنعقد غي أكتوبر سنة٦١٤ .ويلحظ من بعض القرارات المتخذة في هذا الشأن مقدار خسرته الملكية من حقوق الى رجال الدين والامراء .ومن أهم النقاط الذي بحثها المؤتمر-1 : التأكيد على حرية انتخابات رجال الدين للمراكز الدينية في بلاد الغال .اذ أشارت أحد فقرات مقررات مؤتمر باريس الى حالت حصول الشاغر في اسقيفية ما(فيكون اختيار المرشح الجديد بموافقة كل من رئيس اساقفة المنطقة الدينية ورفاقه وبقية السلك الكهنوتي في المدينة وسكانها .ويجب أن يجرى انتخاب بدون استخدام التأثيرات المالية. وأن شغل أسقف منصبه بدون موافقة أي من الأطراف السابقة فلا يعترف به .) ومع ذلك فلم يراع لوثر الثاني ولا من جاء بعده ذلك القرار-2 . تعهد لوثر باجراء اصلاحات عامة بالتنازلات للنبلاء ثمنا لاعترافهم سلطانه .وهذه الحادثة الاولى من نوعها في تاريخ فرنجة والتي يعترف بها ملك ميروفنجي بمسؤلياته القانونية .اذ عدد لوثر بالاخطاء التي ارتكبها الحكام قبله ووعد بعدم تكرارها في المستقبل .
تمكن لوثر الثاني من الاحتفاظ بالحكم منذ سنة٦١٣ عن طريق تنازلاته الى النبلاء .حيث أصدر سنة ٦١٦ مرسوما منح فيه امتيازات محلية الى الارستقراطية في برغندي وعلى راسها حاجب القصر كما عهد بابنه وساية كل من ارنولف رئيس اساقفة متز في اوستراسيا حاجب القصر الاوستراسي بيبن الأول ومع ذلك فقد تمكن من عدم جعل حجابة القصر وراثية غي يرغندي .اذ اتهز فرصة وفات الحاجب اليرغندي سنة٦٢٧ .فعقد مؤتمر من نبلاء المملكة سألهم فيه فيما اذا كانت لهم رغبة في انتخاب حاجب للقصر فكان جوابهم سلبيا مفضلين حكم الملك المباشر اما داكوبير الأول ٦٢٩-٦٣٩فيعتبر آخر ملك ميروفنجي تمتع بسلطان حقيقي وحاول جاهدا الترفيه عن شعبه وقع الاختبار عليه بعد وفاة أبيه لوثر الثاني بدلا من أخيه الأكبر شاربير لاصابته بلوثة عقلية حكم داكوبير الأول المنطقة المتمركزة حول

باريس المسماة التي أصبحت فيما بعد نواة فرنسا الحديثة وكان من المنتظر ان يجعل داكوبير عاصمته في اوستراسيا التي نشأ فيها إلا أنه فضل الاقتداء بسيرة اباءه باتخاذه باريس عاصمة له وكذلك لوقوع اوستراسيا على الحدود ولا تصلح أن تكون مركزا للحكم لبعدها عن اجزاء البلاد الأخرى. هدف في سياسته الخارجية الى حماية الحدود خاصة من الجهات الشرقية من تعديات السلاف والسكسون. اذ أخذت الجموع السلافية المستوطنة بين نهري الاودر والالبا تهدد اوستراسيا وطرق التجارة المؤدية إلى بلاد الغال. لذا تحالف مع اللمبارد سنة ٦٣٢ إلا أن جيوشه منيت بهزيمة نتيجة للاشتراك ملك بوهيميا سامو مع بني قومه السلافيين ضد الفرنجة وعليه استعان داكوبير بقبال السكسون بعد أن وافق على استئناف دفع الاتاوات لهم والتي كانوا يتقاضونها منذ عهد لوثر الأول الان خطته هذه جاءت بنتيجة عكسية. اذ أدت إلى استفحال خطر قبائل السكسون وإلى ازدياد نفوذه الأمراء المحليين على الحدود لتزايد صلاحيتهم العسكرية لقد توفي داكوبير سنة ٦٣٩ وبموته انتهى سؤدد العائلة الميروفنجية من ناحية واقعية. لم يعد الملوك الميرفنجيون منذ سنة ٦٣٩ إلا مجرد هياكل تنقاذها أهواء الأمراء وحجاب القصر في كل من نوستريا اوستراسيا اذ حكم كلوفس الثاني ٦٣٩ .٦٥٧ نوستريا وبرغندي بواسطة الأمير اوكا حتى وفاته سنة ٦٤١ ثم استعان بالامير الاقطاعي الكبير ارشينولد كم طمحت اوستراسيا إلى حكومة منفصلة في عهد الملك سيجبر الثالث ٦٣٢-٦٥٦ وكانت السلطة الفعلية في تلك المملكة بيد كل من بين حاجب القصر وهمبرت رئيس الأساقفة وتمكن كريمولد من الفوز بمنصب الحجابة عند وفاة والده سنة ٦٤٣حاول الحاجب كريمولد في اوستراسيا الاستئثار بالملك أثناء وصايته على داكوبير الثاني سنة ٦٥٦ فاعلن ابنه شلدبير ملكا وأمر بنفي داكوبير إلى بواتيه ومن هناك أبعد إلى ايرلند ودام حكم كريمولد لاوستراسيا سبع سنوات حيث ألقى عليه القبض سنة ٦٦٣ من قبل زعماء المعارضة في نوستريا أثناء طريقه إلى باريس وقد توفي في سجنه في السنة المذكورة .وهكذا اختفى اسم عائلة بيين المسماة بالعائلة الارنولفية لعدة سنوات من مسرح السياسة الاوستراسية. وافق امراء اوستراسيا على اختيار شيلدريك الثاني ٦٦٢-٦٧٥ وهو ابن كلوفس الثاني ونظرا. لصغر سنه فقد عهد بالوصاية عليه إلى كل من عمته اخت الملك داكوبير الثاني والحاجب فولفود كما تقلد لوثر الثالث عرشي نوستريا وبرغندي ٦٥٧-٦٧٣. بعد سلسلة مؤامرات حيكت بين اميرات العائلة الميروفنجية ورجال الدين والاستقراطية في نوستريا واوستراسيا. لقد احتلت الأرستقراطية في بلاد الفرنجة مركزا قويا في هذه الفترة وأصبح الحجاب في مراكز تضاهي مراكز الملوك وحاول شيلدريك الثاني عبثا الموازنة بين قوى الحجاب والأمراء وعاد التنافس على أشده حول العرش عند اغتيال شيلدريك سنة ٦٧٥ في واوستراسيا كما استمرت الحروب الأهلية بين نوستريا واوستراسيا عند عودة داكوبير الثاني سنة ٦٧٦ إلى عرشه ثانية في اوستراسيا والذي دام حكمه حتى المرحلة الثالثة ٦٧٩- ٧٥١ تميزت بسيادة الحجاب المطلقة والتي أسفرت عن نهاية الحكم النظري للعائلة

الميروفنجية. لقد شهدت سنة ٦٧٩ اغتيال داكوبير الثاني وكان ذلك إيذانا بعودة الأسرة الارنولفية إلى الحجابة والحكم اذ تمكن ببيين الثاني من السيطرة على نوستريا واوستراسيا ومع أن هذا الحاجب أبقى الملك ثيري الثالث على العرش النوستوري ٦٧٣-٦٩٠ إلا أنه احتفظ لنفسه. بالسلطة الفعلية فهو الذي الذي يأمر بمصادرة الأملاك وتوزيعها وتعيين الحجاب في البلاطات الأخرى ولم يعد الملوك الميرفنجيون غير أشباح هزيلة لم يذكروا في المناسبات العامة إلا لماما وقد رشح ببيين الثاني عند وفاة تيري الثالث طفلة المعتل كلوفس الثالث ٦٩٠-٦٩٤ لقد نهض حاجب اوستراسيا ببيين الثاني بالدفاع عن البلاد اذ كانت قبائل الفريزيين الوثنية القاطنة بين نهر الويزر وبحر الشمال تحاول التوسع جنوبا وانتزعت فعلا يوترخت من الفرنجة وقد نجح ببيين الثاني. في صدها والانسحاب إلى ماوراء نهر الراين .لم يترك ببيين الثاني عند وفاته سنة ٧١٤ وريثا مباشرا نظرا لوفاة أولاده جميعاً وهو في قيد الحياة. فارادت زوجته بلكتورد. الحكم بواسطة احفادها فلم يوافق النبلاء وتمكن أحد أحفاد ببيين غير شرعيين الاوهو شارل بمساعدة اوستراسيا والفريزيين من الانتصار على مناوءيه كما انتصر على جيوش نوستريا وحسن علاقاته مع إمارة اكويتين حليفة نوستريا بصلح عام سنة ٧١٩ حيث اعترف شارل بإمارة يودس في اكويتين ونفذ مطاليبه في إسناد التاج إلى ملك نوستريا شلبرك الثاني ٧١٥-٧٢١ شارل مارتل ٧١٤-٧٤١ عندما مسك شارل مارتل بزمام السلطة في بلاد الفرنجية كان عليه مواجهة مواقف صعبة تمثلت في الفتن الداخلية والتهديدات الإسلامية من جهات طولوز كما أخذ الألمان والسكسون والبافاريون بالاستعداد للتحرر من السيطرة الفرنجية اعتبر شارل مارتل رجل الساعة والذي استحق لقب المطرقة أي طارق الأعداء ونظرا لأن فترة حكمه كرست بالدرجة الأولى للدفاع عن البلاد فهي فترة حكم تعسفي أيضا وخاصة في قضايا الضرائب انصرف شارل مارتل أولا لاعادة الهدوء إلى الجهات من بلاده وكذلك لمقاومة الخطر الإسلامي من الجنوب فوجه حملاته لسنين عدة ضد السكسون والألمان والبافاريين ثم قاد سنة ٧٣١ حملة ضد اكويتين لتمردها غير أن الخطر الإسلامي المهدد ليودس أمير اكويتين وشارل مارتل قارب بين الطرفين وتمكن شارل مارتل من انتصاره على الجيوش الإسلامية في ضواحي يواتيه والتي كانت بقيادة عبد الرحمن الغافقي الذي استشهد في المعركة سنة ٧٣٢ لقد أوقفت موقعه بواتيه الزحف الإسلامي في بلاد الغال وأدت إلى خضوع اكويتين إلى شارل مارتل كما أن نهوضه بالدفاع عن المسيحية ضد الغزو الإسلامي اعتبره من المبررات لمصادرة الأراضي الكنيسة من أجل استخدام عواءده لتدريب كتائب الفرسان على الطريقة الإقطاعية كان شارل مارتل صاحب السلطان الفعلي والنظري طيلة حكمه وخاصة في السنوات الأربع الأخيرة إذ أنه لم يرشح ملكا على فرنسا إثر وفاة داكوبير الثالث ٧٢١-٧٣٧ ومع ذلك فلم يحاول تتويج نفسه. وقد قسم قبيل وفاته سنة ٧٤١ المملكة بين أولاده الثلاثة فعهد إلى ابنه الأكبر كارلومان اوستراسيا اما ابنه الثالث الملقب بالقصير نوستريا وبرغندي ويروفانسي اما ابنه الثالث كريفوا فخصص له

اقطاعات بين الممالك الثلاث ببيين القصير وكارلومان امضيا ردحا من الزمن في إخماد الثورات في جهات بافاريا وضد غارات السكسون وكذلك مقاومتهما ثورة اخيهما كريفوا اذ التفت حول هذا العناصر المعارضة وانتهت به ثورته إلى السجن ونظر لأن مطاليب العناصر المتذمرة تنادي باسناد التاج إلى ملك ميروفنجي لذا اتفق ببيين وكارلومان سنة ٧٤٣ على تتويج إلى ملك شلدريك الثالث شهد الحكم المشترك ليبيين وكارلومان انتشار المسيحية بين قبائل السكسون على يد المبشر الإنكليزي بونيفيس ورفاقه وتنظيم الأديرة كما وافق الإخوان على إيقاف عملية مصادرة الأراضي الكنيسة الان الأراضي الدينية التي صودرت في السابق لأغراض دفاعية فتبقى بحيازة من وزعت عليهم من الاقطاعين على أن يدفعو منها حصة الحكومة إلى الكنيسة وحكم ببيين منذ سنة ٧٤٧ حتى سنة ٧٦٨ بمفرده وذلك لاعتزال أخيه الحكم ودخوله ملك الرهبنة نهاية الأسرة الميروفنجية سنة ٧٥١ لقد انتهى حكم. الأسرة الميروفنجية من ناحيته العملية والنظرية على يد ببيين. القصير سنة ٧٥١ اذ قرر هذا أن يكون نفسه ملكا بعد أخذه موافقته البابوية اذ ارسل في السنة المذكورة وفدا متالقا من فولاد رئيس دير القديس والاسقف بوركارد إلى البابا زكريا ليسالانه رأيه حول من هو أجدر بحكم المملكة أهو شلدريك الذي ليس له من السلطة سوى اللقب أم هو ببيين السلطان الحقيقي فأجاب زكريا بأن ببيين بمباركة القديس بطرس هو الملك وأمر البابا رئيس أساقفة مينز بإقامة مراسيم التتويج في سواسون سنة ٧٥١ ويشير المؤرخ هنري بيريرين إلى هذا الحادث بالانقلاب الكارولنجي ان القوة الروحانية التي اكتسبها بيبن ثبتت اقدامه في الداخل ومكنته من التدخل في الشؤون الايطالية وخاصة بعد ان اسبغ عليه البابا ستيفن الثاني اثناء زيارته لبيبن سنة ٧٥٤لقب حامي الرومان . واصبح دوليا يحسب له الحساب في اسبانيا وبغداد والقسطنطينية . اهمية زيارة البابا ستيفن الثاني لبيبن : التقى البابا ستيفن الثاني في اليوم السادس من يناير سنة ٧٥٤ مع بيبن على بعد ثلاثة اميال من قصره في بونثايون وقد مثل بيبن دور المرشد لجواد البابا بمسكه العنان وقيادة الحصان حسب الطريقة التي نسبت الى قسطنطين الكبير في قيادته جواد البابا سلفستر حسب منطوق هبة قسطنطين المزورة . وتوج الباب ثانية بنفسه بيبن في كنيسة القديس فيشهر يوليه (حزيران) من السنة المذكورة ولم يعد خافيا على بيبن ان غاية البابوية هي ان يكون حاميها من اللمبارد الذين اعتدوا على الاملاك البابوية . هذا ولم يكن مشروع الحرب ضد اللمبارد مرغوبا فيه من قبل النبلاء ولا من اخيه كارلومان . نظرا لان اللمبارد حلفاء الفرنجه بالاضافة الى ما تكلفه الحرب من نفقات في الاموال والضحايا . واراد كارلومان فعلا ان يقنع اخيه بعدم محاربة اللمبارد الا ان محاولته ادت بأيداعه بالسجن حيث توفي في سنة ٧٥٥ . كما ان لبيبن غايات اخرى من محاربة اللمبارد لان الملك اللمباردي ايستولف اصبح حاميا لاخيه المتمرد كريفو. لقد تمكن بيبن من الانتصار على اللمبارد واجبرهم على اعادة ما استولوا عليه الى البابوية بما فيها رافينا . وقد احتجت الحكومة البيزنطينية على ذلك رسميا سنة ٧٥٦ لأعتبار ان رافينا تابعة لها اصلا.

هذاا وقد سلمت مفاتيح المدن المستردة فيما بعد الى البابوية والتي اخذت تعرف بمنحة بيبن . وكونت هذه مع دوقية روما الدولة البابوية تحت حماية بيبن . واشرف الاخير على عملية تخطيط الحدود بيبن الجانبين.

الفرنجة : المحاضرة الخامسة

الفرنجة القسم الثاني :شارلمان والامبراطورية الكارولنجية بدأ عهد جديد في سماء السياسة الفرنجية والاوربية على اثر وفاة بيبن الثالث الذي عهد بحكم المملكة مشاركة بين ولديه كارلومان الثاني وشارل الذي اخذ يعرف بشارلمان او شارل العظيم ·توضحت اتجاهات ذالك العهد بعد انفراد شارلمان في الحكم على اثر وفاة اخيه سنة٧٧١ ونهض شارلمان بمشاريع خطيرة في المجالات العسكرية والداخلية والدبلوماسية· المجالات العسكرية : حتمت عملية مشاريعه التوسعية في الجهات الشرقية نقل عاصمته من باريس الى اكس لا شايل (اخن)

فاصبحت جهات الراين مركز الثقل السياسي في العهد الكارولنجي واعظم الفتوحات التي قام بها شا رلمان هي على حساب القبائل السكسونية نعم حاول الميرفونجيون فعلا ضم المناطق السكسونية وكذا فعل الحاجب شارل مارتل الذي بعشر حملات على السكسون ومع ذلك فقد بقيت هذه القبائل وثنية ومستقلة ومعادية للفرنجه تالف السكسون من ثلاث مجموعات قبلية هامة الويستفالية في جهات نهر امز وهضاب ارسبورك ثم الانكارية القاطنون حول نهر ويدز والمجموعة الثالثة هي الايستفالية الساكنة حول نهر الالبا وجبال الهرز ·اتبع شارل مان للاستيلاء على السكسون اسلوبين الاول تشجيع الفعاليات التبشيرية المسيحية بين هذه القبائل لا سيما ان انتشار المسيحية معناه انتصار الفرنجه حلفاء كنيسة روما اما الاسلوب الثاني فكان عسكريا ودامت حملاته على السكسون من سنة ٨٧٠حتى ٨٠٤ وبالرغم من دفاع تلك القبائل عن استقلالها وتراثها فقد تمكن شارلمان من اكراه الزعيم السكسوني ودوكايند على الاستسلام واعتناق المسيحية ومع ذلك استمرت المقاومة بين الطرفين وخير شارلمان السكسون بين الموت او اعتناق المسيحية واعدم في يوم واحد (٤٥٠٠) من هؤلاء لرفضهم ذلك المعتقد·قادت حربه مع السكسون الى الاصطدام بقبائل اخرى·وكتسب النصر لشارلمان على بافاريا واجبار زعيمهم تاسيلو على الاعتراف بتبعيته اليه·كما استولى على بو هيميا سنة (٧٩١)· واتبع حرب ابادة ضد الافاربيين ٧٩٩ امتدت فتوحات شارلمان الى ايطاليا على حساب اللمبارد بالدرجة الاولى والسبب المباشر لهذه الحرب هي الدعوة التي تلقاها من البابا ادريان الثاني سنة ٧٧٣لأنقاذه من غزو الملك اللمباردي دزيدريوس للولايات البابوية وصادفت حملته ضد اللمبارد معارضة قوية من قبل والدته برترادا ذات التأثيرات الكبرى في سياسة المملكة اذ اعتقدت هذه بأن العلاقات السلمية مع اللمبارد خير من نقيضها وذلك لاواصر المصاهرة بين العائلتين الحاكمتين ·أذ كانت زوجة شارلمان الاولى اخت الملك اللمباردي غير ان شارلمان راى في عدم مساعدته البابا تتناقضا للسياسة الفرنجية التقليدية في تحالفها مع البابوية هذا بالاضافة الى احقاده الخاصة على اللمبارد ·اذ ان شارلمان قد استولى على ممتلكات اخيه بعد وفاته متجاهلا حق ولديه الصغيرين وقد التجأت ارملة كارلومان مع طفليها الى البلاط اللمباردي وتمكن شارلمان من القضاء على الدولة اللمباردية سنة٧٧٤ واسند في تلك السنه التاج اللمباردي الى والده بيبن وقام بدوره باعطاء البابويه منحة جديده عرفت بمنحة شارلمان عند زيارته للبابا في عيد الفصح سنه ٧٧٤ وتألفت المنحة من منطقة رافيينا وسبوليتو و بنيفنتو لذا كافأه البابا على ذالك بمنحة لقب حامي الرومان واتخذ شارلمان على اثر ذالك لقب ملك الفرنجا واللمبارد وحامي الرومان وقادته سياسته الايطاليه الى الاصطدام مع البيزنطينيين اذ تحالفوريث العرش اللمباردي مع القوات البيزنطية.غيران شارلمان انتصر على هذا الحلف سنة (٧٨٨)واحتل أستريا العائدة للدولة البيز نطية شارلمان يصبح أمبرا طورا سنة(٨٠٠) التجأالبابا ليو الثالث الى شارلمان سنة(٧٩٩) طالبا المساعدة ضد ثور داخلية في روما فا ستجاب له واعج الامور الى

نصابها·وفي يوم عيد ميلاد لسنة (٨٠٠)بينما كان شارلمان زائرا م كنيسة بطرس في روما اذ البابايضع تاج الامبراطورية الرومانية على راسه واعلنه امام الملأ امبراطور الرومان·ويذكرلنا اينهارت مؤرخ البلاط الكارولنجي بأن شارلمان لوعرف بخطة البابا تلك لمل دخل الكنيسة ذلك اليوم.وعلى كل يجب أن يؤخذ ذلك القول بتحفظ .لان شارلمان يطمح الى التاج الامبراطوري وكانت تمهد له حاشيته.وهذا ما يمكن فهمه من احد الرسائل التي بعث بها الكوين احط اقطاب الكاديمية الكارو.لنجية الى البابا المذكور يحثه فيها على تتويج شار لمان أمبراطورا ويبين له مبررات ذلك .وقد اصبح اللقب الامبر اطوري هذا موضع اراءتا يخية مختلفة. حقا أن حادثة التتويجهذه تبدو تافهة لاول وهلة،وذلك لان شاو لمان كان فعلا صاحب السلطان وما المنصب الامبراطوري الا أعتراف بالامر الواقع.ومع ذلك فقد اعطى الحادث شار لمان وخلفاءه حجة شرعية للسيادة الامبراطورية·والتتويج ايضان من الحوادث الهامة التي أمتزجت فيها السلطتين الدينية والزمنية واصبحت فيما بعد من النقاط الجدلية العويصة التي كدرت العلاقات بين السلطات الزمنية والدينية·

اما الاسباب التي دعت ليو الثالث لتتويج شارلمان امبراطورا فأهمها: عدم الوئام بين الكنيستين الغربية والشرقية ونفورالبابوات من سياسة اباطرة البيزنطيين في المجالات الروحية ةالزمنية وكذلك استنكار البابوية والمسيحيين في العالم الغربي اعتلاء الامبراطورة ايرين العرش البيزنطي سنة ٧٩٧بطريقة غير انسانية بأعتدائها على ولدها هذا ولم يسبق ان تولت امرأة العرش الامبراطوري ولا يتسنى لها ورثة بطرس في سلطته الزمنية على العالم المسيحي لذا فقد اعتبر البابا ليو الثالث ان عرش الامبراطورية قد اصبح شاغر وهناك ايضا عامل حاجة البابوات المستمرة للحماية من اعدائه في داخل روما وخارجها · سياسته الداخلية: اصبح شارلمان اثر التتويج حاكما ثيوقراطيا وان حقه في الحكم حق الهي حسب نظرية السيفين واهتم بنشر المسيحية بين السكسون وحماية البابوية من اعدائها فساهم بصورة مباشرة في تثبيت الدولة البابوية التي لم تعد لتعترف من الناحيتين الواقعية والنظرية بالنفوذ البيزنطي منذ سنة ٨٠٠م وتتوضح الخدمات التي قدمها شارلمان للدين في تشجيعه الاديرة وحمايتها وفي تقوية وسائل الدفاع على الحدود الاسبانية منعا لتسرب النفوذ الاسلامي الى الجهات المسيحية وكذلك في شنه الغارات على اسبانيا وحاول من ناحية ادارية الحد من الاتجاهات الاقطاعية اللامركزية المتزايدة وذلك عن طريق جهاز التفتيش الاداراي اذ خصص هيئات مراقبة اي رسل السلطان تتألف كل منها من رجل دين واخر علماني مهمتها التجوال في المناطق الادارية مرتين سنويا لغرض عقد المحاكم العليا وتقديم التقارير عن ثروات الضياع الاقطاعية.

ومع ان شارلمان توخى من سياسته السابقة السيطرة على الامراء فأن سياسته العسكرية قد ادت الى ازدياد نفوذهم اذ اوعز الى كافة الفرسان

الانضواء تحت قيادة اقطاعية كبرى وان يجتمعوا تحت الوية

شارلمان عدة اجراءات لمعالجةالاوضاع الاقتصادية في أمبراطوريته .اذ أمر باصلاح طرق المواصلات الرومانية القديمة وربط الانهر الرئيسية بعضها مع بعض لا القنوات .ثم أوجد أوزان ومقاييس موحدة.وعمل على توحيد العملة ومركزيتها .ونظرا لندرة الذهب لجأ إلى إصدار العمل النحاسية والفضية .إلا أنه أوجد عملة ذهب للمملكة المبارديةنظرا لاستمرار التجارة في تلك الجهات عن طريق البحر المتوسط. هدف من هذه السياسة تبسط التبادل التجاري داخليا وخارجيا في الجهات البحر ية .غير أن هذه الإجراءات لم تمنع التجارة من الدهور لانتشار القطاع والتعود على التعامل النوعي ولتدهور المتاجرة عن طريق البحر المتوسط للسيطرة الإسلامية. وكذلك لعرض المجتمع عن طريق البحر المتوسط للسيطرة الإسلامية. وكذلك لا عرض المجتمع المسيحي الغربي عنها لاعتبارات دينية والاعتمادهم الكلي على الزراعة تعتبر سياسة شارلمان في المجالات الثقافية الفردية من نوعها في العصر الوسيط الأوروبي.لذا أشير إليه يأتي من واضعي أساسي النهضة الأوربية .أحدثت سياسته في ذلك المجال نشاطا أدبيا ملحوظا أطلق عليه المؤرخون فيما بعد النهضةالمكارولنجيه ولكن على علم بأن هذه النهضة لم تكن شاملة كما أن الكثير من جوانبها قد زال أقطابها.ومع ذلك نجحت بأمرين حين. الأول أنهاعملت على انتشال الثقافة الأوروبية من موت بطيء محقق والثاني انها اشيدت على أساس ثقافي متين استمر من بعد سقوط الإمبراطورية الكارولنجية وهكذا كونت تلك النهضة نقطة الانطلاق الثقافي للعصر الوسيط طالما أن إمبراطورية شارلمان محاولة لإعادة توحيد أوروبا الغربية أو إعادة بناء الإمبراطورية الرومانية هناك فقد جعلت التراث الكلاسيكي قدوة لها وهدفت إلى وصل حاضرها بالتقاليد الرومانية اذا أشار قطب النهضة الكارولنجية الكوين مخاطباً شارلمان لو تم تنفيذ ما يجول بخاطرك فمن المتيسر لنا انشاء أثينا جديدة في فرنسا أفضل وأجل من أثينا الأولى لأن التعاليم المسيحية قد شرفت اثينتنا، هنا يكمن جوهر النهضة الكارولنجية. اذ هدفت من جهة إلى ربط حاضرها بالتراث القديم مؤكدة من جهة ثانية اختلافها عنه فلم يطمح أقطاب تلك بالتراث النهضة إلى العصور القديمة فحسب بل واصلوا الجهود لا يجاد تعليم اثيني في إطار مسيحي. احتل الإهتمام بالتعليم مكانة كبرى في سياسة الإمبراطورية الكارولنجية ولا عجب في ذلك فلا يمكن للإمبراطورية الدوام آنذاك يدورن كادر ديني متعلم مدرب وها نحن نلحظ لأول مرة وجود سياسة تعليمية واعية ذات أهداف دينية منذ البداية. كان من المتعذر حقا على الكارولنجيين القيام بمشروعهم التعليمي بغير الاستعانة بقادة بعض المراكز التعليمية المتبعثرة المنعزلة هنا وهناك في المؤسسات الديرية الأوروبية فبالرغم من أن الأقطار الأوروبية آنذاك في بحرلجي تسوده دياجير الظلمة فكانت مثلا في نورثمبريا في بريطانيا حركة تعليم دينية قدر لها أن تكون قبسا للنهضة الكارولنجية اذا استعان شارلمان بمشروعه الثقافي بالكوين الذي كان مدير المدرسة

يورك دعاه شارلمان إلى بلاطه ليتولى الشؤون التعليمية في مدن اخن اوكس لا شابيل سنة ٧٨٥. تقلد في البداية رئاسة مدرسة البلاط وانتهى به المطاف رئيسا لدير القديس مارثن في مدينة تور حيث انكب فيه على تطوير الخط اللاتيني مستعيضا عن الحروف الكبيرة بأخرى صغيرة وأصبح يعرف ذلك الخط بالكارولنجي الذي اعتبر من اجمل الخطوط واوضحها في العصر الوسيط. هذا ويعتبر الكوين قلب النهضة الكارولنجية النابض وان فعاليتها الثقافية أصبحت جزء من التراث التعليمي للعصر الوسيط. كانت هناك ثلاثة أنواع من المدارس هي الديرية والكتدارعية ومدارس القصر الامبراطوري. ثم أسس شارلمان مركز للدراسات العليا عاه بالأكاديمية. والأخيرة أشبه بكلية متألفة من حلقات دراسية تقليدا لوفان وأصبح شارلمان الرئيس الفخري للأكاديمية. وكانت هذه مقترة على نخبة الطلاب والأساتذة لمناقشة مواضيع اللاهوت والفلسفة اليونانية وأعطى شارلمان أهمية خاصة لمدارس القصر من شأن تثقيف الأمراء تدريبهم على الأعمال الإدارية أحل شارلمان نفسه بحاشية ضمت نخبة من علماء العصر استقدمهم من أقطار أوربية غربية. ومن بين هؤلاء بولص الشماس. ٧٢٥-٧٩٧الف كتاب تاريخ اللمبارد والذي اختص بتدريس اللاهوت وبطرس اوفيبا أستاذ اللاتينية في مدرسة البلاط وهناك أساتذة من اسبانيا أمثال رئيس أساقفة ليون اكو بارد وهو من أقطاب علماء الدين ثم أسس مدينة اورلي ثيودولف المختص بالشعر والأدب. ومن أساتذة الأكاديمية الشهرين اينهارت فرنجي تخصص في الفلسفة والتاريخ وأصبح مؤرخ البلاط الكارولنجي. ولد سنة ٧٧٠ وتلقى ثقافته الأولى في دير فلودا ثم التحق ببلاط شارلمان سنة ٧٩١ فأجبته به الكوين الذي أوصاف شارلمان بهي خير لما تو سمه فيه من ذكاء.وكان أينهارت قصيراً ونحيف هيئته الجسمية لا تتناسب مع مواهبه العقلية لذا أشار إليه الكوين ذات مرة مداعبا (لاضير في ذلك فالنحلة الصغير تنتج العسل وبالرغم من صغر العين فهي تقود الجسم) أستمر انهيار صديقا لشارلما ن و وفيا لورثاءه لمدة عشرين سنة .وقد وثق به النبلاء و ثوقا مطلقا. فعند ما عقد شارلمان مؤتمرا سنة ٨١٣ لا ستشارة النبلاء في أم ولا ية العهد اختارو اينهارت ممثل عنهم . توفي هذا سنة ٨٤٠ ومن أشهر مؤلفاته التي خلفها هو كتاب تاريخ حياة شارلمان ومن بين الاساتذة الا في النهضة الكارولنجية الفيل الفيلسوف النكليزي تلميذ الكوين إلا وهو فردجيزوس صاحب كتاب وهذا عبارة عن موضوع في طبيعة العدم وآثارت آراؤه معارضة رئيس أساقفة ليون اكو بارد .ثم الأستاذ رابان مور الذي يعزا له نشر التعليم الكارولنجي في جرمانيا واعتبر المؤسس للتعليم في ذلك القطر .ومن كتبه المؤسسة إلا كليروسية وضعه لتثقيف الراغبين الانخراط في مساعدتها الكهنوتي اكد فيه دراسة العلوم الحرة واهمية الفلسفة اليونانية في مساعدتها على فهم الدين ومما يؤخذ على هذه النهضة الكارولنجية خلوها من الابداع والاصالة وان انتاجها لا يتعدى حدود النقل من الفلسفة اليونانية وخاصة فلسفة افلا طون التي اعتمدت عليها الكنيسة .وتتسم النهضة الكارولنجية أيضا بمحاكاتها لافكار فلاسفة المسيحية الاوائل واساليبهم . مع ذلك فكان لها تأثير ات

ملحوظة على جيل الإمبراطورية الثاني.اذ ظهرت مساجلات حول القضاء والقدر المسيح وعلاقته با الله. ومهما كان من امر هذه الهضة فقد بقيت منعزلة كواحة في فيافي الصحراء من الجهل ومما اوهى خيوطها هي الغزوات التى انهالت على اوربا في القرنين . سياسة شارلمان الخارجية : تتركز سياسته الخارجية اولا في تلافي الخطر الاسلامي من جهات اسبانيا بالضغط والتدخل العسكري وبناء الاستحكامات على الحدود والدس بين زعماء المسلمين هناك . ثانيا. الضغط على البيزنطينيين للاعتراف بسياسته الايطالية وبلقبه الامبراطوري. ومن هاتين النقطتين الاساسيتين قد يمكن لنا ان نفهم علاقاته الدبلوماسية مع الاسرة العباسية في بغداد . هناك اشارات تاريخية تفيد ان العلاقات الدبلوماسية بين البلاطين الكارولنجي والعباسي بدأت منذ حكم بيبن الثالث واستمرت في عهدي شارلمان وابنه لويس بايوس . ولعل الثورة التي قادها العلاء بن مغيث ضد عبد الرحمن الداخل والتي دعا فيها لأبي جعفر المنصور الخليفة العباسي قد شجعت بيبن على فتح المفاوضات مع العباسيين بالرغم مما اصاب تلك الثورة من فشل ذريع . اذ ارسل بيبن سنة ٧٦٢ وفدا الى بغداد رجع بعد ثلاث سنوات الى فرنسا ومعه رسل من الخليفة . نزل الوفد في مرسيليا وتوجه لمقابلة بيبن الذي كان انذاك في مدينة متز . وامضى رسل الخليفة فصل الشتاء في قصر سلس على ضفاف نهر اللوار ثم رجعوا الى الشرق عن طريق مرسيليا ومعهم هدايا الى الخليفة . لقد سار شارلمان على خطة ابيه تجاه الامويين في الاندلس والعباسيين في بغداد . ولم يأل جهدا في التدخل بين زعماء المسلمين في اسبانيا والتقرب الى زعماء المسيحيين فيها . اذ كان شارلمان يفصل

بين خصومات الاسبان المسيحيين ويتوسط لهم عند البابوية. وقد انتهز فرصة تمرد سليمان وإلى برشلونة للتدخل في اسبانيا. اذ وفد هذا على شارلمان سنة ٧٧٧ طالبا مساعدته عسكريا ضد السلطات الأموية وكان شارلمان آنذاك في ويستفاليا في الجبهة السكسونية وبالرغم من انشغاله في تلك الجبهة فقد قبل دعوة سليمان وزحف بفرقتين على اسبانيا. سارت الفرقة الأولى باتجاه جيرونا بعد اجتيازها جبال البرانس الشرقية. وكانت الفرقة الأخرى تحت قيادته مباشرة تقدم بها عن بامبلونا. عاصمة دولة نافار المسيحية. وسقطت المدينتان بيد الفرنجة. ثم توجه الجيشان إلى ساراكوسا حيث فرضا الحصار عليها بدون جدوى. وقرر الانسحاب سنة ٧٧٨ على إثر تهديد السكسون لبلاده ولفشل خطة سليمان في كسب الأعوان المسلمين إلى شارلمان. وكان انسحابه عن طريق أحد أودية جبال البرانس والذي يسميه العرب باب الشزرى وهناك هاجمت قبائل الباسك مؤخرة الجيش التي كانت تحت رولان. أمير بريتاني في فرنسا. فابادوها بما فيها رولان بعد أن دافع دفاعا مجيدا توضحت فيه صفات الفروسية الحقة وقد نسج الخيال الفرنسي حول هذه الحادثة هالة من الأوهام والخرافات في القرن الحادي عشر إبان الحروب الصليبية هذا وقد ارسل شارلمان سنة ٧٩٧

وفدا إلى هارون الرشيد وأمر الوفد المرور بالقدس قبل ذهابه إلى بغداد ليتفقد أحوال المسيحيين وزوار ذلك البيت المقدس وان يتوسط لدى الخليفة في تسهيل مهمة زوار القدس. فاستقبلهم الخليفة ووعدهم خيرا وبعث هارون الرشيد سنة ٨٠٦ إلى شارلمان هدية من منسوجات حريرية وقطنية وفيلا ابيض بناء طلبة وساعة من نحاس اصفر تتحرك بالماء وتدق اثنتى عشر مرة بعدد ساعات النهار. ونزل الوفد في قدمته من الشرق مدينة بيزا وحملت الهدايا بابتهاج عظيم إلى اكس لاشابيل مركز الإمبراطور شالمان فقدموا له ثنايا الخليفة واخبروه بأنه يضع مودته فوق مودة كافة الملوك لقد توقعت العلاقات بين الكارولنجيين والعباسيين موقتا على إثر وفاة هارون الرشيد سنة ٨٠٩ والحروب بين الأمين المأمون. ولعل التسوية التي تمت حول اللقب الامبراطوري لشارلمان مع البيزنطيين سنة ٨١٢ من جملة العوامل التي أدت إلى توقف العلاقات بين الدولتين في عهد شارلمان. إلا أنها استنؤنفت في عهدي لويس بايوس والمامون. إن العلاقات الكارولنجية. العباسية من المواضيع التي تعددت فيها الآراء وتشبت من حيث صحتها ومداها. فهناك من أنكر وجود أية علاقة من هذا النوع وذلك لسكوت المصادر العربية المعاصرة عن الموضوع. ومنهم من أخذ بصحتها معتمدين على ما جاء به المؤرخ الكارولنجي اينهارت من أخبار ومع ذلك فإن سكوت المصادر الإسلامية المعاصرة عن هذه العلاقات لا يعني نفيها إطلاقا وليس من المعقول ان تختلق المصادر الكارولنجية هذه الأخبار اختلاقا فلا بد اذن من وجود صلات ودية بين البيتين الكارولنجي والعباسي. ومن المحتمل ان يكون الكارولنجيون قد هدفوا من وراء تلك العلاقات تأييد العباسيين المعنوي لتدخلاتهم في اسبانيا لكي يظهروا من يعتمدون عليهم من المسلمين في الأندلس بأنهم يقاومون الأمويين لكونهم لا يعترفون بالخلافة العباسية ولعل الكارولنجيين قد توخوا أيضا من هذه العلاقات خدمة المسيحيين بتأمين مصالحهم في الأراضي المقدسة والسهر على راحة حجاج القدس. ومن هنا نشا الرأي القائل بأن شارلمان وضع أسس النفوذ الفرنسي في البلاد الشامية. ويستندون في ذلك على ما أنشأه من مؤسسات خيرية هناك وإرسال رئيس أساقفة القدس مفاتيح كنيسة القيامة لشارلمان بوفد رسمي سنة ٨٠٠ ومن الجائز أن يكون شارلمان قد هدف من هذهالعلاقات استمرار الضغط على البيزنطيين من جهات الشرق من قبل العباسيين ومن قبله من جهات الغرب ليعترفوا به امبراطورا ولينصاعوا إلى نداء كنيسة روما في التوحيد العقائدي. ومن المحتمل أيضا أن يكون العباسييون قد هدفوا أيضا إلى الضغط على كل من البيزنطيين والامويين في الأندلس عن طريق الكارولنجيين. ولهذا فمن الممكن ان يرى الكارولنجييون والعباسييون في كل منهما حليفا طبيعيا ومصلحة مشتركة هذا مع العلم بأن البيزنطيين حاولوا عكس ذلك التوازن الدولي بمفاوضاتهم الودية مع الأمويين في اسبانيا. أخذت علاقات شارلمان مع الإمبراطورية البيزنطية تتجه اتجاهات سلبية نظرا لتوسعه نحو الجهات الشرقية من أوروبا واقتراب خطره من الإمبراطورية البيزنطية وكذلك لتوسعه في إيطاليا على حساب المناطق العائدة للبيزنطيين

تابعة لنفوذهم وكذلك للاختلافات المذهبية بين الكنيستين الشرقية والغربية. وقد توجت هذه العلاقات السلبية بقبول شارلمان التاج الروماني. حقا هناك بعض الآراء تشير إلى أن شارلمان كان يرغب أن يكون امبراطورا في الجهة الغربية فقط بينما إرادته البابوية أن يكون امبراطورا اوحدا لكافة المجتمع المسيحي حسب ما تذهب إليه نظرية السيفيين ومع ذلك حاول شارلمان أن يسوى مشكلة خلافة مع البيزنطيين بأساليب سلمية. ومن جملة حلوله في هذا الشأن ربط العاءلتين الحاكمتين في الغرب والشرق باواصر المصاهرة. فهناك اقتراحان لم يكتب لهما النجاح الأول. محاولة تزويج قسطنطين الخامس من ايرين قبل استءثار أمه بالعرش من إحدى بنات شارلمان والثاني اقتراح شارلمان الزواج من إيرين إلا أن المحاولة من جملة أسباب إشعال الثورة ضد الامبراطورة إيرين سنة ٨٠٢ والتي أسفرت عن خلعها وعليه بقيت مشكلة التاج الامبراطوري تكدر العلاقات بين الجانبين حتى تم الاتفاق عليها سنة ٨١٢. هذا ولم يكن اعتراف البيزنطيين بلقب شارلمان يتضمن تنازلهم عن سيادتهم النظرية على القسم الغربي وانما هو اشبه بالاعادة لوضع الامبراطورية السائد اثناء حكم انوريوس واركاديوس . وكان ثمن اعتراف البيزنطيين بشارلمان تنازله عن فينسيا التي احتلها سنة ٨٠١. وارجاعها الى الدولة البيزنطية . انحطاط الامبراطورية الكارولنجية وسقوطها : ناهيك عن سعة الامبراطورية ورداءة المواصلات وصعوبة الدفاع عنها وعدم ظهور شخصية قوية بعد شارلمان فهناك ثلاثة اسباب هامة لأنفراط عقد الامبراطورية الكارولنجية هي قاعدة (١)تقسيم المملكة بين الورثاء (٢)الغزوات التي قامت بها الجموع الاسلامية والشمالية والمجرية على الامبراطورية بصورة خاصة وعلى اوروبا عامة (٣)ازدياد الاتجاهات اللامركزية للأقطاع -1 . قاعدة التقسيم : كانت قاعدة التقسيم متبعة منذ فجر السلالة الميروفنجية .ولم تشذ الاسرة الكارولنجية عن ذلك ولم تستفد من دروس الماضي في هذا المضمار . فالصدف وحدها انقذت شارلمان من خوض غمار الحرب ضد اخيه كارولومان اذ توفي بعد ثلاث سنوات من الحكم بعد ان وصلت العلاقات بين الاخوين حد الانفجار . كما انه لم يبقى من اولاد شارلمان في قيد الحياة سوى لويس بايوس الذي توجه امبراطورا مشاركا قبيل وفاته سنة ٨١٣. بدون مشاركة البابا بذلك التتويج . ويمكننا تقسيم المرحلة التي حكم فيها لويس بايوس (الورع) ٨١٤-٨٤٠ . الى فترتين تمتد الاولى من سنة ٨١٤حتى سنة ٨١٧ ولم يحدث فيها ما يعكر الصفو العائلى. وتمتد الثانية من التاريخ الأخير حتى سنة ٨٣٧ حيث تعرضت فيها الإمبراطورية للحروب الأهلية نتيجة لا نشقاق الأسرة الحاكمة. والسبب في ذلك محاولات لويس بايوس الرامية لتقسيم الإمبراطورية بين أولاده. ومن أهم محاولاته في هذا الشأن هما في تاريخي ٨١٧ و٨٣٧. اذ قسم في التاريخ الأول الإمبراطورية بالتساوي بين أولاده الثلاثة وهم لوثر وبيبين ولويس. وجعل اللقب الامبراطوري إلى ابنه الأكبر لوثر. ومن هنا المشكلة. اذ أهمل الأب تقديم الضمانات الكافية للمحافظة على حصة برفاد ابن أخيه في إيطاليا. فثارت ثائر ته ونشبت الحرب وأسفرت عن دحر جيوش برفاد

وأصبح طريد القانون وأراد العم أن يقتص من ابن أخيه عن طريق المراوغة والخداع. فأصدر له ولعائلته امانا وجيء بهم ضيوفا عليه. وما هي إلا أيام معدودات حتى شرع الإمبراطور فى اعتقال ضيفه وتعذيبه وتسميل عينيه فاضت روحه. وحدث أن توفيت زوجة لويس بايوس في السنة التالية وقد تطير كثير من وفاتها واعتبرها لعنة السماء على أفعاله. لذا بدأ ضمير الإمبراطور بالاستيقاظ فتجسمت له المأساة وأصبح نهب الهواجس فأراد التكفير عن ذنبه فعقد مجلسا عاما ضم الأمراء ورجال الدين في مدينة attignyسنة ٨٢٣ قام معترفا بخطاياه والاثام التي ارتكبها.ان الرضاء النفسي الذي حصل عليه الورع من الاعتراف ولد له مشاكل عدة مع امرأته والاستهتار بهيبته. حدثت المشكلة الرئيسية الناجمة عن قاعدة التقسيم في حكم لويس الورع سنة ٨٣٧. اذ استقر رأيه على إعادة تقسيم الإمبراطورية نظرا لولادة وريث جديد له اسمه شارل من زوجه أخرى يقال لها جوديث لذا بدأت العلاقات بالتردي بين الأب وولديه لوثر ولويس الذي لقب بالجرماني. فنشبت عدة حروب بين الجانبين. ثم توصل الأب إلى اتفاق نهائي مع ولده الأكبر لوثر سنة ٨٣٨ ومما سهل الاتفاق وفاة بيبن وأشغال لويس الجرماني في محنة عائلية افقدته أتباعه في حينها فلم يقام له وزن عند الاتفاق ولم ينته الامر عند ذلك الحد. اذ نشبت الحرب بين الاخوة الثلاثة عند موت لويس الورع سنة ٨٤٠ واستمرت حتى سنة ٨٤٣ حيث عقدت بينهم معاهدة فردان قسمت فيها الامبراطورية الى ثلاثة اقسام هي-1 :استلم لوثر الاول ٨٤٠-٨٥٥حوض الراين وايطاليا واللقب الامبراطوري واشير الى هذه الدولة بالمملكة الوسطى -2 . حكم لويس الجرماني ٨٤٠-٨٧٦ الاقسام الكائنة الى الجهات الشرقية من المملكة الوسطى والتي عرفت بأسم جرمانيا -3 . حصل شارل الذي لقب بالاصلع الاقسام الواقعة الى الجهات الغربية من المملكة الوسطى . ان لمعاهدة فردان اهمية خاصة في تاريخ اوروبا. اذ انها ميزت لأول مرة بين الاقسام الشرقية والغربية للأمبراطورية الكارولنجية .فكانت الاولى نواة لالمانيا والثانية لفرنسا . وتعتبر تلك المعاهدة بداية الصراع التاريخي بين المانيا وفرنسا حول المنطقة الوسطى ذلك الصراع الذي استمر متقطعا حتى نهاية الحرب العالمية الثانية . كما انها ارت بداية الفوارق القومية بين المانيا وفرنسا منذ تلك المرحلة المبكرة . وهذا ما يلحظ من قسم ستراسبورك سنة ٨٤٢ والذي تعهد فيه كل من شارل واخيه لويس قبيل تسوية فردان ان لا ينفرد اي منهما في صلح مع اخيهما لوثر . وقد اخذ لويس القسم امام جنده باللغة الالمانية بينما فعل شارل ذلك باللغة الفرنسية . هذا وقد قسمت المملكة الوسطى على اثر وفاة الامبراطور لوثر الاول سنة ٨٥٥ بين اولاده الثلاثة . فأصبحت الجزاء الايطالية واللقب الامبراطوري من حصة لويس . واستلم لوثر الثاني المنطقة الشمالية من المملكة الوسطى والتي سميت بأسمه لوثر نجيا وحولت التسمية فيما بعد الى لورين . اما منطقة برغندي فأصبحت

من حصة الابن الثالث شارل. كما قد تقاسم فيما بعد لويس الجرماني وشارل الاصلع مملكتي لورين وبرغندي في معاهدة مروسون سنة ٨٧٠ وأشارت تلك المعاهدة بوضوح إلى الحدود بين ثلاث من الدول الأوروبية الحديثة هي فرنسا وألمانيا وايطاليا. هذا ولم يتمكن الامبراطور لويس الثاني من الحيلولة دون ذلك التقسيم نظرا الاشتباكه في معارك مع المسلمين في إيطاليا وكذلك مع البيزنطيين حول مدينة باري وقد تمكن شارل الاصلع من الاستئثار باللقب الامبراطوري سنة ٨٧٥ عند وفاة الإمبراطور لويس الثاني لقد توفي لويس الجرماني سنة ٨٧٦ وكذلك شارل الاصلع سنة ٨٨١ ونظرا لصغر ابن الأخير فقد بايع أمراء فرنسا شارل الملقب بالسمين وهو حفيد لويس الجرماني سنة ٨٨١ ومع أن الأجزاء الثلاثة قو توحدت نظريا في عهده الاان النبلاء خلعوه سنة ٨٨٧ لعجزه عن الدفاع ضد الهجمات النورمندية وبذلك اعتبر المؤرخ برايس خلع ذلك الإمبراطور ووفاة في السنة التالية النهاية الفعلية للإمبراطورية الكارولنجية. وبالرغم من أن الالمان اختارو ملكا لهم حفيدا غير شرعي للويس الجرماني والمسمى ارنولف ٨٨٧-٨٩٩ والذي توج امبراطورا سنة ٨٩٦الانه لم يتمكن من تثبيت أقدامه في إيطاليا وألمانيا وقد انتخب الأمراء بعد وفاته ابنه الصغير لويس الثالث ٨٩٩-٩١١ وبوفاته انقرضت الأسرة الكارولنجية وأخذت كل من فرنسا من جهة وألمانيا وايطاليا من جهة أخرى تشقان طرقين مستقلين. إن الحروب الأهلية التي نجمت عن قاعدة وذيولها كانت سببا هاما في تفكك الإمبراطورية وانهيارها. كما أدت إلى اشتداد هجمات الأقوام النورمندية الشمالية والإسلامية والمجرية والتي نشير لها اصطلاحا بالغزو الثاني على أوربا تمييزا له عن الغزوات الأولى التي انهالت على الإمبراطورية الرومانية كما أن الغزو الثاني والحروب الأهلية من الأسباب التي أدت إلى استفحال قوى أمراء الاقطاع وابتعادهم عن السلطة المركزية 2الغزو الثاني يعتبر ذلك من العوامل الرئيسية التي اودت بالامبراطورية الكارولنجية وله تأثيرات لا تقل خطورة في التاريخ الأوروبي عما احدته الغزو الأول للإمبراطورية الرومان. اذ تعرضت فيه أوروبا بصورة عامة لهذا الغزو من الشمال والجنوب والشرق ولاقت الامبراطوريتان الكارولنجية والبيزنطية وسائر الأقطار الأخرى الأمرين واودى الغزو أيضا بالنهضة الفكرية الكارولنجية وأنزل أوروبا الغربية إلى أدنى مراتب الانحطاط لمدة تزيد على القرنين. وأهم هذه الجموع الغازية هي. الأقوام الإسلامية. لم تكن اسبانيا المسلمة في القرن التاسع لتمثل خطرا مباشرا على الاقسام الأوروبية الغربية والجنوبية لأسباب عدة. ولعل أهمها تفرق كلمتهم واشتداد ساعد الدويلات المسيحية في جبال البرانس التي عجز المسلمون عن دحرها وكذلك لحمايات الحدود العسكرية وتحصينها التي اشادها شارلمان على حدوده المشتركة مع اسبانيا. هذا مع العلم ان الغارات الإسلامية من تلك الجهة لم تنعدم بالمرة في تلك الفترة على الاقسام الجنوبية من فرنسا غير أن الخطر المباشر المحدق بالأقسام الجنوبية الأوروبية ونقصد بذلك إيطاليا وجزرها فقد جاء من المناطق الإسلامية في شمال أفريقيا ال إذ قام الأغالبة بعدة حملات بحرية على صقلية وايطاليا منذ

سنة ٨٢٧.وثبتوا أقدامهم في نهاية القرن التاسع في كل من صقلية ومردينيا وكورسيكا. وتوغل المسلمين في شبه الجزيرة الإيطالية وأصبحت لهم معسكرات عديدة بين روما ونابلي شنوا منها الغارات سنة ٨٤٣ على روما والمدن المجاورة واضطر البابوات إلى دفع الاتاوات لقادة المسلمين هناك تجنبا لخطرهم وامتد النفوذ الإسلامي إلى الأقسام الشمالية من إيطاليا مؤسسين لهم معسكرات أيضا في جبال الألب توالت منها غارات على الاراضي الألمانية هذا ولم تتمكن كل من الامبراطوريتين الكارولنجية والبيزنطية من زحزة المسلمين من تلك الجهات وقد بقي النفوذ الإسلامي في الجزر الإيطالية خاصة حتى ظهور النورمنديين في القرن الحادي عشر. الشماليون ينتمي الشماليون أو النورمنديين ا الى التيوتون الأوائل الذين سادوا شبه الجزيرة الاسكندنافية وكانت هذه في بدايتها مأهولة من اجناس مغولية أقرب إلى الاسكيمو الذين تغلب عليهم الكلتيون ثم انتزعتها القبائل التيوتونية من هؤلاء شرع الاسكندنافيون باخر موجة جرمانية كبرى قبيل نهاية القرن الثامن وأطلق عليهم الأوروبيون تسمية الفارانجيين وكذلك أصحاب الخلجان لتمركزهم في الخلجان أو مصبات الأنهار التي تنطلق منها غاراتهم على الأجزاء البريةامتدت غزواتهم إلى مناطق شاسعة فشملت الإمبراطورية الكارولنجية واسبانيا والجزر البريطانية وكافة أنحاء أوروبا الوسطى واستولوا على ايسلاند وكرينلاند ويقال انهم وصلو إلى ما تسمى الان نيوفوندلاند وسواحل امريكا الشمالية أما الأسباب التي دفعت بهؤلاء للهجرة واحتراف هذا النوع من الغزوات البحرية والبرية فلم تكن واضحة لدى المؤرخين. ومع ذلك فهناك بعض النظريات نسبت الغزو إلى ازدياد مظطرد في سكان قبائل السويد والدانيين والنرويج أو للاضطهاد الذي لافاه صغار الرؤساء من ملوكهم الذين حاولوا فرض سياسة مركزية ويرى قسم من المؤرخين أن الضربات التي وجهها شارلمان إلى السكسون حطمت حاجزا منيعا بين الشمال الإمبراطورية الكارولنجية فكانت سببا لتحركات أهل الشمال. وجه الفايكنك اول غاراتهم على انكلترا سنة ٨٨٧ اغاروا على الإمبراطورية الكارولنجية وشارلمان في قيد الحياة ثم سنة ٨١٤ في جهات نهر اللوار واحرقوا الغارات على الاراضي الكارولنجية سنة ٨٤١ حيث قصدو مناطق ونهبوا ثم بعد سنتين من ذلك التاريخ وكهاراتهم في فصل الصيف من كل سنة إلا أنهم منذ أواسط القرن التاسع اكادوا يتمركزون في مصبات الانهر والخلجان حيث يكمنون فيها اوقارتاء وبذلك بدأت مرحلة جديدة في تاريخ غزواتهم بتأسيس تلك السسد البحرية. لقد حاث هؤلاء طيلة النصف الثاني من القرن التاسع في الفرنسية إذ هاجموا سنة ٨٥٧ عدة مدن منها تور وبوردوا وبلوا والان وبواتيه من قاعدتهم البحرية في مصب نهر اللوار. ثم تمركزوا أيضا مصب الرون واتخذوا مدينة سنة ٨٧٢ منطلقا لهم لعدة سنوات وشرعوا ثانية في مهاجمة القسم الشرقي من فرنسا عن طريق نهر السين سنة ٨٨٥. وطلب الشماليون عند وصولهم أبواب باريس السماح لهم بمواصلة السير في ذلك النهر مقابل عدم مهاجمتهم باريس وفرضو الحصار على تلك المدينة لمدة سنتين حينما رفضت السلمات طلبهم. وأخيرا

استجاب شارل السمين لذلك الطلب لرغبته في تدير برغندي. هذا ولم يتمكن الكارولنجيون من مقاومة الفايكنك لانشالهم في الحروب الأهلية. ولم يتورع المتنافسون من الاستعانة بالغزاة من بعضهم البعض. وأخيرا أضطر شارل البسيط ملك الفرنجية الغربيين على منح زعيم الفايكنك المسمى رولو أراضي حول مصب

نهر السين سنة ٩١١ توسع منها إلى الجهات المجاورة وأصبحت منطقته تعرف بنورمندي. ومن أشهر القبائل الشمالية التي لعبت أدوار خطيرة في تاريخ أوروبا في هذه الفترة هي قبائل طريق الشمال حيث هاجمت ايرلاند القبائل الدانية التي أخذت اسمها عن زعيمها دان ميكيلاتي. هاجمت فرنسا وانكلترا ثم القبائل السويدية واغارت هذه على المناطق السلافية واستقر قسم منها في روسيا ويعتقد بأن لفظة روسيا كانت تطلق على إحدى القبائل السويدية التي قصدت تلك الجهات. القبائل المجرية ..وهي من القبائل الآسيوية شكلت خطرا على أوروبا منذ النصف الأول من القرن التاسع وقيل عنهم بأنهم من أشد الأقوام ضراوة غزا هؤلاء هنغاريا سنة ٨٩٥ ثم بافاريا سنة ٨٩٠ ونهبوا سكسونيا سنة ٩٣٧ ولم تنقطع مخاطرهم إلا بعد الانتصار الذي حققه ملك ألمانيا أوتو الأول في معركة لخفيلت سنة ٩٥٥.

٢ـ الاتجاهات اللامركزية للاقطاع.

إن الفترة التاريخية المضطربة أي فترة الغزو الثاني على أوروبا أسفرت عن إحدى الحقائق الهامة. إلا وهي أن الظروف الاقتصادية التي سادت الأقسام الغربية من أوروبا جعلت بقاء الإمبراطورية الكارولنجية أمرا عسيرا إذ برهنت الحوادث على أن ازدياد الاتجاهات اللامركزية الإقطاعية واستقلال الأمراء اقتصاديا وسياسيا في انهيار السلطة المركزية للإمبراطورية الكارولنجية. اذ اضعفت هذه الاتجاهات الإقطاعية إمكانية الإمبراطورية المالية وشلت اجهزة الدفاع وجردت السلطة من هيمنتها على السكان . اذا اصبح ولاء الافراد في تلك الفتره ولاء شخصيا للرئيس الاقطاعي المباشر وليس للرئيس الدوله . ان اشتددا الامركزية من الحوافز الهامة في تقسيم الامبراطورية سنه ٨٤٣ في معاهدة فردان . كما ان المعاهدة الاخيرة ساعدت بدورها على استفحال القوى الاقطاعية وادت فيما بعد الى تجزئة المملكة الوسطى واستقلال الامراء في كل من المملكتين الشرقية والغربيه . وفي ذلك الخضم المضطرب بتصارع القوى بدت المؤسسات الاقطاعية في اوربا وكأنها حمى وملاذاً للناس . حقا انها المؤسسات العملية الوحيدة التي صمدت امام العواصف التي تناوحت الامبراطورية الكارولنجية خاصة والجهات الاوربية عامة . فقدمت حلولا عملية بسيطة لحاجات الافراد الاساسية. سنة ٩٧٨ وقد اضطر هذا إلى دفع الاتاوات للدانيين سنة ٩٩١ وعرفت الضريبة التي شرعت من أجل تلك الغاية بضريبة. حاول الملك اثبرت محاربة النفوذ الدانيماركي بطرق

دبلوماسية والمؤامرات الانتقامية فقد تزوج من اخت أمير نورمندي المسماة اما .املا في تقوية مركزه ثم عمد إلى تحريض شعبه على قتل كافة الدانيين الساكنين بين ظهرانيهم فكانت منها مذبحة سنت برايس سنة ١٠٠٢ التي استفزت ملك الدانمارك سوين فوركبيرد الذي قرر ضم انكلترا إلى ممتلكاته لذا ارسل حملة عسكرية بقيادة ابنه كانوت سنة ١٠١٦ تمكن بها من ضم ذلك القطر إلى أمبراطوريته التي كانت تشتمل على النرويج أيضا وبقيت انكلترا جزءاً من هذه الإمبراطورية حتى سنة ١٠٣٥ تمكنت أما. من جعل ابنها الأكبر ادورد المعترف ملكا على انكلترا بمساعدة أخيها دوق نورمندي على إثر وفاة كانوت وتمزق أمبراطوريته ويعتبر اعتلاء ادورد المعترف العرش سنة ١٠٤٢ مرحلة تمهيدية لامتلاك انكلترا من قبل وليم الفاتح لذا جعل حراسه من النورمنديين واستبدل العادات النورمندية في بلاطه. وتكون حزب معارض لسياسته هذه بقيادة اللورد كودين. وعند وفاة الأخير تولى ابنه هارولد قيادة المعارضة وقد أخذ ينظر إليه الانكليز وكأنه الوارث الشرعي لعرش بلادهم. وقد انتخب ملكا فعلا عند وفاة ادورد المعترف سنة ١٠٦٦.

(الفتح النورمندي لانكلترا سنة ١٠٦٦. المحاضرة السادسة)

لقد كان الدوق وليم نورمندي يرقب التطورات في انكلترا باهتمام كبير وذلك لصلة القربى بينه وبين الملك المتوفي ولطموحه في العرش الإنكليزي ومن جملة الوسائل التي تذرع بها من أجل غرضه على حسب روايتين ضعيفتين. الاولى ان وليم قد ازار انكلترا سنة ١٠٥١.واستحصل وعدا من الملك ادورد بأنه ولي عهده. أما الثانية هي أن هارولد قد أقسم سنة ١٠٦٥. إن يكون تابعا إلى وليم وان لا يعمل عملا مهما بدون استشارته. أما الظرف الذي تم فيه القسم فيروي كالاتي. بينما كان هارولد متجولا في القنال الإنكليزي على ظهر يخته إذ بهذا اليخت يصطدم بالصخور ويجنح إلى الشاطئ النورمندي فالقى اتباع وليم عليه القبض وقادوه ا الى اميرهم. ولم يفك الدوق وليم أسره الابعد أن أقسم له بأن يكون تابعه الاقطاعي. وكان القسم على مرأى من النبلاء وبعض رجال الدين لهذا فقبول هارولد العرش الإنكليزي بدون علم ورضاء وليم يعتبر من الأمور التي لا تقرها العادات الإقطاعية بالإضافة إلى أنه يكون حنثا بالقسم المذكور مما أدى إلى غضب الكنيسة ومؤازرتها لوليم بشكل فعال عبر وليم بجيوشه إلى انكلترا سنة ١٠٦٦ وتغلب على جيوش هارولد في معركة هاستنك

والتي أسفرت أيضا عن مقتل هارولد. ويعزى انتصار وليم على الجيوش الإنكليزية لاستخدامه فرق الفرسان التي لم تكن معروفة لدى الإنكليز آنذاك.

ولعل أهم الأعمال التي قام بها وليم في انكلترا على بعض الآراء إدخاله الاقطاع لتلك الربوع متوخيا منه دعماً لمركزه وليكون عونا للسلطات المركزية لا وبالا عليها وتتلخص الإجراءات التي اتخذها لأحكام السيطرة على الاقطاعيين

١- مصادرة أراضي الأعداء وتوزيعها على الثقاة من أتباعه.
٢- حتم على النبلاء عدم حصر املاكهم في منطقة واحدة بل سمح بما شاؤا من التملك على شرط ان تكون الأراضي متباعدة. وذلك منعا لازدياد نفوذهم ولسهولة ضربهم في حالات العصيان والتمرد.
٣- احتفظ لنفسه بالسلطات القضائية والإدارية. ولم يسمح الاقطاعين بالاستحواذ على دوائر الإدارة المحلية واعتمد في أشغال المناصب الحكومية على موظفين من غير الاقطاعين.
٤- اشترط على النبلاء والاتباع تأدية يمين الولاء والإخلاص إليه بخلاف ما كان يحدث في أجزاء القارة .عدا نورمندي. حيث ان التابع لا يأخذ قسم الولاء إلا إلى شريفه. وغاية وليم من ذلك أن يكون نفسه المرجع الأعلى لكافة المراتب الإقطاعية وليمنع الأتباع من القتال في صفوف الأمراء أن حدثت أي منهم نفسه بالثورة ضد الملك.
٥- اعتمد وليم على جيشه بالدرجة الأولى وعلى موظفيه الإداريين في تجيش الجيوش. وأمر كافة الأمراء والاتباع بعدم إشادة المعاقل العسكرية بدون موافقته. بالإضافة إلى اعتماد وليم على جهازه الاقطاعي. فإنه أبقى على أكثرية أجهزة الحكم التي وجدها هناك وعمل تكييفها لمقتضيات سياسته. اذ كان لملوك الانكلز والسكسون مجلسا استشاريا يضم النبلاء ورجال الدين يعرف بمجلس الحكماء. ولم يغير فيه وليم سوى الاسم حيث أصبح يعرف بالمجلس الكبير تمييزا لك عن مجلس الملك الخاص الذي ضم الوزراء وكان المجلس الأخير معروفا لدى الانكلز والسكسون الان وليم ضم إليه وزير القضاء إدارية بحته بخلاف ما كانت عليه قبل الفتح. لقد أبقى وليم على التقسيمات الإدارية الموروثة ولم يحدث سوى تغييرات بسيطة. فالوحدة الإدارية الكبرى هي ولاية الحدود والتي تقسم بدورها إلى وحدات أصغر تعرف بوحدة المائة وهذه تقسم أيضا إلى أجزاء صغرى تعرف

بالفلات أمر وليم بإلغاء قسم كبير من الدوقيات الكبرى التي يشار لها وادمجها بولايات الحدود. وأبقى أيضا على المدن وتنظيمها النقابية وأمر بتعميم نظام التفتيش الإداري. ولعل

أهم ميزات حكم وليم في القضايا الإدارية والتي تميزه عن سواه من حكام أوروبا هو الإحصاء العام الذي أمر به سنة ١٠٨٦ توخّى منه الاستقصاء الدقيق لموارد السكان ونفوسهم وظروفهم الاجتماعية وأسماء المالكين للأراضي قبل الفتح وبعده ومقدار قيمة الأرض وصنفت تلك المعلومات في سجل عام. وغايته منه تسهيل مهمة الجباية وضبطها وتسهيل مهمة تجيش الجيوش. ساهم وليم بشكل فعال في إصلاح الكنيسة ومشروع الإصلاح هذا كان جزء من البرنامج الإصلاحي العام لكنيسة روما الذي شرع به قادة دير كلوني ومن أشهرهم هيلاد براند اعتمد وليم في سياسته الدينية في انكلترا على لانفرانك رئيس أساقفة كنتربري الذي منع الإجراءات السيمونية وتشدد في تطبيق قاعدة العزوبة بين رجال الدين وتمكن من الحصول على إمتيازات قضائية للكنيسة غير أن وليم احتفظ بالسيطرة لنفسه على رجال الدين فمثلا لم ياتمر بامر البابا في الامتناع عن التدخل في أمر تعيين رجال الدين في انكلترا. وحذر رجال الدين هناك من الاعتراف بالبابا ما لم يعترف به وليم مقدما كما منع دخول الرسل البابويين إلى البلاد بدون علمه. وأمر بعدم إصدار عقوبة الحرمان في حق أي من رعاياه ما لم تؤخذ موافقته سلفا ومع ذلك فقد كانت علاقته جيدة مع البابا كريكوري السابع نظرا للخدمات المتبادلة بينهما. وليم الثاني أوصى وليم الفاتح أن تقسم المملكة بين ولديه وليم وروبرت أصبح ابنه الأكبر روبرت دوقا لنورمندي والآخر توج ملكا على انكلترا. غير ان نبلاء الانكليز كانوا يفضلون الأخ الأكبر لما عرف عنه من ضعف قد يمكن النبلاء من السير وراء اهواءهم بخلاف وليم الثاني المعروف بشدة باسه وحزمه في الحكم لهذا ثار ضده أكثرية النبلاء سنة ١٠٨٨ واستعمل وليم الثاني منتهى الشدة والقساوة مع الثائرين لقب على أثرها بوليم الأحمر أو وليم الدماء. أما علاقته بالكنيسة فكانت حسنة حتى وفاة رئيس الأساقفة لانفرانك. وبدأ النزاع بين الملك والجهات الدينيه حال وفاة لانفرانك وقد كان فاتحة لنزاع طويل بين الدولة وكنيسة روما. اذ ترك وليم الثاني منصب رئاسة الأساقفة شاغرا مدة من الزمن كي يستحوذ على الواردات الدينية. غير ان المرض الذي الم به جعله أن يستغفر ربه ويطلب عفوه بإسناده ذلك المنصب إلى السلم. سنة ١٠٩٣ الذي كان مشتهرا بالتقوى والانصراف لعلم اللاهوت ومع ذلك فقد تنازع مع الملك حول أملاك الكنيسة والاستثمار العلماني لمراكز رجال الدين والحاحه على المزيد من الأموال التي تقدمها الكنيسة إليه أثناء حربه مع ويلز ولامداد أخيه أثناء حملة الاخير الصليبية سنة ١٠٩٦ لقد أصبح النزاع سافرا بين الملك والكنيسة على اثر سفر السلم إلى روما للحصول على حلته الرسمية من البابا أن روما كانت مسرحا. هذا الوقت لاثنين من البابوات المتنافسين هما بسكال الثاني والبرت لهذا تردد رئيس الأساقفة برهة من الزمن في الاعتراف بأي منهما غير أنه كان عليه أن يقرر سريعا أن أراد الحلة الرسمية وهي رمز الاعتراف البابوي الرسمي بتقلده منصب رئاسة الأساقفة. لهذا انتهز وليم هذه الفرصة فأكد حقه في رجال الدين في انكلترا لا يجوز لهم الاعتراف بالبابا إلا بعد اعتراف الملك به. لقد استمرت المنازعات بين الملك ورئيس الأساقفة

وأدت بالسلم إلى ترك المنصب احتجاجا على سياسة وليم، ولم تنته المشكلة ألا باغتيال الأخير في احدى الغابات أثناء الصيد سنة ١١٠٠

هنري الاول المحاضرة السابعة

هنري الاول ١١٠٠-١١٣٥ وهو الاخ الاصغر لوليم الثاني تقلد العرش اثناء غياب اخيه الاكبر روبرت دوق نور مندي حيث كان في حملته الصليبية في الاراضي المقدسة لهذا لم يكن حق هنري في العرش مرتكزا على اسس ثابته خاصة ان وليم الثاني لم يعهد به اليه وان اخاه الاكبر اكثر حقا به منه هذا بالاضافة الى عدم اخذه اراء زعماء شعبه في تقلد العرش لهذا السبب اصدر هنري الاول عهدا ملكيا وعد فيه الشعب ازالة ما لحقهم من حيف اثناء حكم اخيه ان تلك الوعود التي جاءت بذلك المرسوم الملكي تعتبر من اوائل السوابق في كفاح الانكليزمن اجل حرياتهم الطبيعية .لقد ادى ذلك المرسوم الى التفاف القسم الاكبر من النبلاء حول الملك. غير ان الفئة المناوئة كانت في مركز قوي ايضا وقد حاولت عبثا سنة١١٠١ من اقناع اخيه روبرت عند رجوعه من الحملة الصليبية ان يقوم بغزو انكلترا . ولقد انتهز هنري ثورة ضد اخيه في نورمندي فتمكن من الحاق ذلك القطر بأنكلترا بعد انتصاره على اخيه وتأسيره سنة ١١٠٦ في موقعة تنشربريا اما علاقة هنري الاول بالكنيسة فتتمثل بالمشكلة التي نشبت بينه وبين انسلم حينما رفض الاخير تأدية الولاء للاول. وموجز الحادث ان هنري ارسل في طلب انسلم عند اعتلائه العرش وعينه مجددا لرئاسة كنتر بري وامر ان تعاد الممتلكات الكنسية التي صادرها اخوه لقاء ان يقسم يمين الولاء فأمتنع انسلم عن ذلك . ويمين الولاء هذا الذي كان الامراء والملوك والاباطرة يجدون في طلبه من رجال الدين قبل البدء بمزاولة اعمالهم هو جوهر مشكلة الاستثمار العلماني لمراكز رجال الدين

لقد تظاهر هنري الأول بالعدل عن طلبه اليمين كسبا للوقت وريثما تهدأ الاضطرابات التي نشبت عند اعتلاءه العرش وأملا في موافقة البابا بسكال الثاني على الطلب الذي قدمه إليه من أجل أن يستثني انكلترا من المرسوم الكريكوري في مسألة الاستثمار العلماني للمراكز الدينية إلا أن البابوية رفضت بصورة قاطعة النظر بذلك الأمر لهذا عمد هنري بعد استتباب الأمن في بلاده إلى إثارة المشكلة الثانية فطلب إلى الرئيس الاساقة اعتزال المنصب أن لم يؤد يمين الولاء والإخلاص وكاد السلم أن يصدر التحريم في حق هنري لولا وساطة اخت الأخير اديلا وبعد مفاوضات قصيرة اشترك فيها ممثلون عن البابوية توصل الجانبان لتسوية وقتية باتفاقية بك سنة ١١٠٦ وكانت هذه نصرا في ظاهرها لرجال الدين إذ أشارت إلى أن الكنيسة وحدها صاحبة الحق في اختيار رجال الدين للمراكز الدينية وللملك حق حضور الانتخاب أو إرسال من ينوب عنه أن هذا الشرط المتضمن حضور الملك في في الانتخابات أو من يمثله من شأنه أن يفسح المجال للتاثيرات الملكية في سير الإنتخاب وقد تركت الاتفاقية الحرية التامة للملك في وهب الأراضي لرجال الدين وان يطلب منهم التعهدات الإقطاعية المترتبة على ذلك وفي ضمن الحدود الدينية المتعارف عليها غير أنهم لا يجوز لهم ممارسة أعمالهم رسميا إلا بعد استلام شارات مراكزهم الدينية الجامعة والعصا. من رئيس الكنيسة الأعلى اما في صدد عقوبة الحرمان فلا يجوز للكنيسة. إصدارها بدون الحصول على موافقة الملك كما لا يجوز لاي أسقف مغادرة البلاد ما لم. يأذن بذلك وبصورة عامة كانت فترة حكمه فترة أمن وسلام فيما إذا استثنينا الإضطرابات التي تمخضت عنها ظروف اعتلاءه. العرش والحرب التي شنها على نورمندي والتي أسفرت عن ضمها إلى انكلترا. إن السلام هذا ساعد على نشر العدالة والهيمنة على الجهاز الاداري وتطويره. ووصف المؤرخون المعاصرون ذلك الملك بأنه أسد العدالة. وأنه انسان طيب

ومهاب ولم يجرؤ الناس في عهده الجور على بعضهم البعض. أصبحت الحكومة في عهده أكثر مركزية وأشد سلطة وتخصصا. في الأعمال الإدارية إذ وضع نظاما ماليا دقيقة وأمر بتعيين هيئة مشرفة على الأموال تتألف من صاحب الخزينة والوزير الأقدم ووزير العدل ونفر آخر من أعضاء المجلس الملكي وجعل اجتماعات هذه الهيئة مرتين في السنة في فصلي. الخريف. والربيع. لتدقيق حسابات الجباة ولاستلام حصة الملك منها. أما العدالة التي حققها ذلك الملك لشعبه فبواسطة المحاكم المتجولة إذ كانت الدعاوى العامة تعرض سابقا على الملك الذي يعرضها بدوره على المجلس الملكي الذي يتبع الملك في حلة، وترحاله، كان من الصعب على سكان الأطراف النائية الوصول إلى العاصمة أو اقتفاء أثر الملك في تنقلاته لرفع شكواهم إليه لذا أمر هنري بايفاد. عدد من أعضاء المجلس الملكي في مواقيت معينة من

السنة إلى مختلف الإرجاء الإدارية لحسم القضايا المتنازع حولها والتي هي خارج اختصاص. المحاكم المحلية. ولعل أهم مشاكله قبيل وفاته مشكلة وراثة العرش وذلك لعدم وجود وريث ذكر بعد موت ابنه الشرعي الأوحد. لذا قرر إسناد العرش لابنته ماتيلادا وقد رتب أمر زواجها من قوبلاي حوفري أمير انجو في فرنسا. وكان هذا يلقب بلاتتاجنية لتعوده وضع غصن نبات معين ذي زهور صفراء على خوذته كانت ماتيلادا عند وفاة والدها خارج وان زوجها لم يجهد نفسه في المطالبة بالعرش لها ستيفن ١١٣٥-١١٥٤ لم يحبذ أمراء الانكليز آنذاك الخضوع لعرش امرأة ولم يكن لهم سابقة في ذلك الشأن .لهذا تقاضوا عن نصرة ماتليد حينما عبر ستيفن امير بلوا بجيوشه الى انكلترا مطالبة بالعرش .وستيفن هو ابن انيلا المذكورة سابقا بنت وليم الفاتح واخت هنري الاول وقد نال تأييد النبلاء الذي لم يمض على قسمهم الى هنري الاول بالمحافظة على عرش بنته غير زمن يسير .وقد حنثوا بيمينهم لقاء وعود وهبات سنية اغدقها عليهم ستيفين . لقد اقضت المشاكل مضاجعه بالرغم من فوزه بالتاج الانكليزي وتعزى المشاكل الى تصرفاته الخاصة وطباعه الشخصية . اذ كان مخاتلا وكثير التردد . وقد استغل النبلاء تردده فوسعوا نفوذهم بالتجاوز على بعضهم البعض وحتى على حقوق الملك نفسه . وسرعان ما نشبت الفوضى في كافة البلاد . ومما زاد الموقف تعقيدا ان قسما من النبلاء ثاروا ضده سنة ١١٣٨ مطالبين بأسناد العرش الى ماتليدا . ودامت الحرب الاهلية هذه حتى سنة ١١٥٣ حيث انتهت بأتفاقية بين ستيفن وهنري بن ماتليدا . ونصت الاتفاقية المعقودة في ولنكفورد على ان يكون هنري وارث العرش الانكليزي بعد ستيفن . هنري ١١٥٤-١١٨٩ ان شهرة هنري الثاني كانت نتيجة لما انجزه من اعمال اثناء حكمه في بريطانيا التي لم تكن في الواقع الا جزءا صغيرا من ممتلكاته . اذ ورث عن امه دوقيتي نورمندي ومين بالاضافة الى انكلترا كما ورث عنها الادعاء بدوقية بريتاني ثم ورث عن ابيه دوفيتي انجو وتورين . واضاف الى تلك الاملاك دوقية اكويتين سنة ١١٥٢ بزواجه من وريثتها الينور . وتمتد تلك الدوقية من نهر اللوار الى جبال البرانس ومن المحيط الاطلسي الى نهر الرون . وهكذا فقد سيطر هنري على نصف فرنسا تقريبا قبيل توليه العرش الانكليزي أصبحت كل من ويلز وسكوتدلاند تحت حمايته وامتدت سيطرته إلى عدة أجزاء من ايرلاند وبالرغم من تعدد ممتلكاته وشساعة مساحتها التي لم تتيسر لغيره من ملوك أوروبا آنذاك ما عدا إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة. فإنه لم يلقب نفسه بالامبراطور. ولهذا يعتبر المؤرخون أن تسمية هذه المجموعة من الممتلكات بالامبراطورية من الأمور الخاطئة. ولعل من أهم أسباب ذلك أن مركز هنري في فرنسا لا يتعدى روما كونه تابع إلى الملك الفرنسي هذا بالإضافة إلى أن نظرية كنيسة روما في وحدة العالم المسيحي نظرية السيفيين وانضواءه تحت إمبراطورية واحدة هي الإمبراطورية الرومانية المقدسة قد تكون من الأسباب التي حالت دون إعلان هنري لنفسه إمبراطور. لقد واجهت هنري الثاني مصاعب عائلية أدت إلى حروب أهلية. اذ كان له أربعة أولاد هم هنري ورشارد وجوفري وجون وقد

توج ابنه الأكبر سنة ١١٧٠ملكا لكي يشرف على تدريبه في الحكم وأوصى إليه بنورمندي وانجو ومين. وعهد بدوقية بريتاني إلى جوفري على أن يتسلمها من أخيه الأكبر. وجعل دوقية اكويتين من حصة رشارد على أن يتسلمها من ملك فرنسا. أما جون فلم يصبه من ذلك الإرث شيء ولقب من أجل ذلك. فقير الأرض جون. وغاية هنري من هذا التقسيم أن يخصص حصص أولاده مقدما ولم يدر بخلده أن يمنحهم سلطة التصرف الفعلي وهو في قيد الحياة. ومن هنا نشأت المشكلة بين الأب وأبنائه. اذ اصر هؤلاء على الحكم الفعلي خاصة أن علاقة الوالد بامهم اليتور لم تكن على ما يرام وانتهت بطلاقها. وكان لا لينور اليد الطولى في إثارة الأبناء على والدهم. وتعرف الثورات التي قام بها هؤلاء ضد أبيهم بثورة الأشبال التي اشترك فيها معظم النبلاء الانكليز. مرت ثورة الأشبال بمرحلتين أساسيتين. استطالت الأولى من ١١٧٣-١١٨١ حيث تمكن فيها هنري الثاني بمساعدة المدن الإنكليزية بصورة خاصة من الانتصار على أولاده. ودامت الثانية من ١١٨٦-١١٨٩ والمحرض الأكبر فيها بين الإخوان وابيهم هو فليب أغسطس

ملك فرنسا.اذ استعد في بادئ الامر جوفري ضد اخيه الاكبر هنري ولم ينته النزاع الا بموت الاول .ثم قام بتحريض هنري و اخيه رشارد لمواصلة الكفاح ضد ابيهم .واحرز الابناء انتصارا على والدهم سنة ١١٨٩في احدى المواقع العسكرية في دوقية انجو.قام هنري الثاني باصلاحات قضائية قصد بها تقوية السلطة المركزية.فقد يعزى اليه ادخال نظام المرافعات عن طريق المحلفين.ومع ان ذلك النظام يختلف عن نظام المحلفين الحديث الا ان تشريعات هنري في ذلك الصدد مثلت الخطوة الاساسية في نمو الاجراءات القضائية في انكلترا .وتقوم هيئة المحلفين بمعالجة امور عدة. فيتم حسم النزاع حول الاراضي بتحكيم اثني عشر خبيرا يقسمون امام حاكم العدل باحقية اي من المدعين.اما النظر في الامور الجنائية فتجري حسب الانظمة التي شرعها هنري في مجلس كلارندم سنة ١١٦٦.اذ يقوم اثنا عشر محلفا في كل وحدة من وحدات المائـــة الادارية .وهؤلا اشخاص لهم اطلاع على الجريمة المرتكبة في منطقتهم وغالبا ما يكونون شهود عيان .وكانوا يلجاون ايضا الى التحكيم المحني لاثبات الحق حسب طريقة العصور الوسطى .وقد دام ذلك الاجراء المحني حتى سنة١٢١٥ حيث منعته البابوية في عهد الوسنت الثالث. ادت اصلاحات هنري الثاني الثاني القضائية الى الاصطدام بالامتيازات القضائية الدينية .اذ اعتقد هنري بان تلك الامتيازات اصبحت ملاذ للمجرمين العلمانيين .وتوضح المشكلة التي نشبت بينه وبين رئيس اساقفة كنتربري توماس بيكث جوانب الاصطدام بين السلطتين الزمنية و الروحية .ان توماس بيكث من اصل نورمندي وعلى ثقافة عالية .اكتسب خبرا في مجالي الدنيا و الدين في انكلترا واصبح من المقربين الى هنري الثاني الذي استند اليه رئاسة اسقفية كنتربري.وكم كانت خيبة الملك شديدة حينمالم يجد في توماس ما توقعه من مساعدة في تقليص امتيازات رجال الدين في ذلك الميدان

القضائي اذ اشار توماس ذات مرة (انه لا يمكنه كسب مرضاة الله والملك في آن واحد فلا بد من التقرب إلى احدهما على حساب الاخر).إن السبب المباشر في الاصطدام هو رفض توماس المصادقة على قوانين كلارندم القضائية لا عتبارها تعديل صارخا على حقوق الكنيسة وقد اضطر توماس الى مغادرة انكلترا الى روما .ونتيجة بوساطة البابوية توصل الطرفان الى هدنة لم تحسم جذور الخلاف .وقد اصدر توماس قرار التحريم في حق اولئك الذين ساندوا الملك في خلافه مع الكنيسة لذا استشاط هنري الثاني غضبا وكان انذاك في فرنسا. اذ قال في احدى المناسبات امام اتباعه (لماذا لم يكن له اتباع مخلصون الاخلاص المطلوب ليكفوني شر ذلك القس المزيف).لذا اعتقد اربعة من الفرسان الذين سمعوا ذلك القول بان ملكهم يود التخلص من توماس بقتله. وقد قصد هؤلاء كنسية كنتربري سنة ١١٧٠ واودوا بحياة توماس. لقد افزعت تلك الحادثة المؤلمة العالم المسيحي وخاصة في انكلترا واضطر هنري الثاني ان يعلن براءته ويستغفر البابا ووعد بمعاقبة المجرمين ثم امر بالغاء قوانين كلارندم ارضاء للكنيسة وتهدئة للرأي العام ثم قصد زائرا قبر توماس بطريقة دراماتيكية . الاجزاء البرطانية الاخرى ويقصد بذلك كل من ويلز وسكوتلاند وايرلاند.اما بالنسبة لويلز فكانت علاقاتها عدائية مع الانكلو سكسون طيلة الفترة التي سبقت الفتح النورمندي.ثم بدأملوك النورمنديين يستحوذون تدريجيا على المناطق الويلزية وقد اعب نبلاء الانكليز ادوغرا خطيرة في ذلك المجال .وبالرغم من ان هنري الاول استولى على مناطق متعددة في الاقسام الجنوبية من ويلز الان قسما كبيرا من نبلاء تلك الجهات احتفظوا بدرجة ما من الاستقلال .كما تمكن هنري الثاني من اكراه نبلاء ويلز في المناطق الشمالية على الاعتراف بسيادته.اما البلاد الاسكوتولاندية فكانت تتألف في البداية من اربعة اقسام هي(١)بكت الكائنة شمال نهر فورت(٢)سكوجيا وتتمركز حول مصب نهر لورن (٣)ستراث كلايد كائنة الى الجنوب وتشمل مصب نهر كلايد(٤)الاراضي التابعة الى مملكة نورث امبريا وتشمل المناطق الكائنة في جنوب نهر فورت وشرقي مملكة ستراث كلايد. ان اندماج بكت بمملكة سحوجيا ساعد على التوسع على حساب اراضي نورثمبريا ١٠١٨كما تمكنت سكوجيا من الاستيلاء على مملكة ستراث كلايدوبذلك تم توحيد البلاد على ايدي ملوك الاسكوج ومن اوائل ملوك المملكة الاسكوتلنديةالمتحدة الملك ماكبث١٠٤٠ ___ ١٠٥٧الذي استأثر بالعرش بعد قتله دنكان في ظروف مبهمة.ثم مالكولم الثالث١٠٥٨ ____ ١٠٩٣.وكان هذا متأثرا بالعادات الانكليزية وتزوج من احدى اميرات ويسكس،وبذلك بدا التأثير الانكليزي في سكوتلاند وقد اضطر ما لكولم الى الاعتراف بتبعيته سنة ١٠٧٢الى وليم الفاتح.ثم حاول مالكولم في عهد وليم الاحمر الاستيلاء على بعض المناطق الانكليزية غيران هذه المجازفة ادت الى خسارته منطقة كمبرلاند سنة١٠٩٢.وقد حاول هنري الاول اعدة العلاقات السلمية مع سكوتلاند بتزويج اخته من ملك ذلك القطر وسمح لهم بضم بعض الاراضي الانكليزية الا ان هنرر الثاني اجبرهم على اعادتها الى انكلترا سنة ١١٧٣وذلك لاشتراكهم في ثورة الاشبال.اما العلاقات الانكليزية

الايرلندية فلها تاريخ مختلف عما تقدم.اذ.....كانت ايرلاند مأهولة منذ العصور الاولى بأقوام كلتيه ومن حضارة تقترب الى حد ما من حضارة انكلترا قبل الفتح النور مندي.وهناك اتصالات ثقافية وتجارية بين الايرلنديين والرومان مع أن الدولة الرومانية لم تحاول تثبيت اقدامها في ايرلاند .ومن مظاهر التأثيرات الرومانية فيها انتشار البعوث التبشيرية التي مهدت الطريق سنة ٤٣٢ للقديس باترك.وعلى العموم كانت ايرلند مزدهرة بالحضارة والعمران في وقت كانت فيه أوربا تعاني من هجمات البرابرة الاوائل. ولهذا سميت بجزيرة القديسين والعلماء. ثم أصبحت قاعدة لارسال المبشرين الى مختلف الارجاء الاوربية. الا أن الغزوات الدانية المتوالية يملها من العوامل الهامة في انتكاس الحضارة هناك في القرنين التاسع والعاشر .ومما يلاحظ في التاريخ الايرلندي أن تقدم البلد الحضاري لم يصحبة تقدم سياسي. اذ كانت مقسمة الى عدة مناطق قبلية متنافسة مما سهلت فهم الاعداء. أن أول من فكر في فتح ايرلاند من ملوك الانكليز هو هنري الثاني بعد أن أستحصل موافقة البابا وتبريكاته علىذلك المشروع. الا أن الاوضاع الداخلية في بلاده منعته من ذلك. ونهض بهذا المشروع جماعة من أتباعه فيما بعد سنة ١١٩٦، ومن أشهرهم دوق بمبروك وقد تم للانكليز سنة ١١٧١ فتح المنطقة الكائنة بين دبلن ويورك .

نحو الدستورالانكليزي ١١٨٩-١٣٠٧ المحاضرة السابعة

لم يحدث تطور يذكر في المؤسسات الادارية في عهد رشارد الاول ١١٨٩-١١٩٩ لانصرافه الكلي للفروسية ومغامرتها، ولم يزر انكلترا طيله حكمه غير مرتين ولم يمكث في اي منهما

سوى بضعة أشهر لغاية جمع الاموال لتموين جيوشه المقاتلة خارج البلاد. ومن أهم حروبه هي الحروب الصليبية التي خاضها في الاراضي المقدسة ١١٨٩-١١٩٢
وحروبه ضد ملك فرنسا فليب أغسطس. وادت تلك الظروف الى تذمر النبلاء ورجال الدين لكثرة ضرائبه .لقد ورث الملك جون ١١٩٩-١٢١٦ مشاكل سلفه الاقتصادية والعسكرية. اذ أستهل حكمه في حروب متواصلة ضد فليب أغسطس. ومن اسباب العلاقات العدائية بين فليب أغسطس وجون هو اسقاط الاول حق الثاني في ملكية الاراضي الواقعة الى الجهات الشمالية من نهر اللوار .اذ أنتهز فليب رفض الملك جون لدعوته بالمثول أمام المحكمة الملكية في باريس للدفاع عن حادثة زواجه من أيزابيلا أميرة انكولم بطريقة مخالفة للقواعد الدينية والاقطاعية .حتمت المشاريع العسكرية في فرنسا على الملك جون الالحاح في جمع الاموال.ومن أهم الضرائب التي استفزت شعبة ضريبة السبع التي فرضها على الواردات الشخصية. وقد رفض النبلاء طلب الملك المالي وكذلك طلبه المتعلق بالقتال خارج الحدود في مشاريع لا تعود عليهم بغير الخسران. واشتد ساعد النبلاء عندما ساندهم رجال الدين .ان السبب المباشر الذي اثار رجال الدين ضد الملك هو تدخل الاخير في النزاع الديني حول انتخاب رئيس أساقفة كنتربري واجبار الاطراف المتخاصمة على اختيار المرشح الذي يريده. لذا أصر البابا انوسنت الثالث بان امر البت في نزاع من ذلك النوع يعود للبابا ثم أصدر الاخير أمرا بعزل الرئيس الاساقفة الذي عينه الملك مسند المنصب الى ستيفن لانكتون. الا أن جون أستمر في تحديه للبابوية ولم يأبه لتحريم بلاده اولا وتحريمه ثانيا حتى سنة ١٢١٣.اذ أتفق البابا مع فليب اغسطس على أن يغزو الاخير أنكلترا. لذا أضطر جون للأذعان لمشيئة البابا طالبا منه الصفح والغفران واعلن نفسه بانه مجرد تابع للبابا وانه على استعداد لتأدية ما على التابع من خدمات لسيدهوما أنتهت المشكلة حتى عاد جون ثانية لحرب فليب أغسطس بالرغم من معارضة النبلاء. وعلى كل فقد أنتهت الحرب بخسارته لمعظم أملاكه في فرنسا ورجع خائبا لانكلترا سنة ١٢١٤ .لذا أنتهز النبلاء هذا المركز الحرج الذي وجد جون نفسه فيه وتقدموا اليه بأن يمنحهم عهدا يحافظ فيه على حرياتهم وأيدهم في ذلك رجال الدين وحتى تجار مدينة لندن الذين أستفزتهم كثرة ضرائب الملك. واضطر الاخير للاستجابة لذلك الطلب في الوثيقة الدستورية الكبرى المسماة بالعهد الاعظم سنة ١٢١٥ . ولم يكن العهد الاعظم هذا سوى وثيقة دستورية ارستقراطية اقطاعية هدف لحماية حقوقهم بصورة خاصة من تعديات الملك. وتألفت الوثيقة من ثلاث وستين مادة أهمها :١-لا يمكن للملك جباية ضرائب جديدة لم تذكر في العقود الاقطاعية ما لم يستحصل سلفا موافقة المجلس الكبير .٢-حماية حريات الكنيسة وحقوقها .٣-مراعاة دستور البلاد في الحماية لحريات الافراد الاحرار (فلا يجوز القاء القبض على أي فرد حر ولا يجوز أيداعه السجن الا بعد أدانته نتيجة لمحاكمته من قبل النبلاء حسب قوانين البلاد .(٤-أحترام حريات سكان مدينة لندن وسائر المدن والموانى الانكليزية .٥-يجب على الملك العمل بموجب ذلك العهد وللنبلاء الحق في اكراهه على ذلك ان

دعت الضرورة ولو بالحرب .ان العهد الاعظم من الحوادث الهامة في التاريخ الانكليزي. اذ أصبح مجالا خطيرا للبحث والاستنتاج الى حد الغلو .ومن اسباب هذا الغلو ما يعود الى القرن السابع عشر حينما عمد الفقهاء لايجاد ما يبرروجهة نظرهم من العهد الاعظم في مقارعة ملوك ال ستيوارث المستبدين حجة بحجة .وبالرغم من أهميةتلك الوثيقة فلم تشر الى ضرورة اجراء المحاكمات بطريقة نظام المحلفين ولم تشر الى الطبعة العامة. ولعل أهم مبدأ حققه العهد الاعظم ضرورة أطاعة ملوك الانكليز لقوانين بلادهم .ومما هو جدير بالذكر أن العهد الاعظم اشار الى تشكيل لجنة متألفة من خمسة وعشرين عضوا للاشراف على تنفيذ الشروط .وبالرغم من ان الملك تمشى بموجب العهد لشهرين تقريبا فان النبلاء لم يراعوا تطبيقه بتجاوزهم على حقوق الملك التي حفظها له ذلك العهد. هذا بالاضافة الى أن لجنة الاشراف المشار اليها كانت عديمة الذوق في معاملة الملك. لذا أضطر الاخير أن يعلن للملأ الغاء العهد الاعظم لعدم تقيد النبلاء به .وأيده في ذلك البابا أنوسنت الثالث. وأدى ذلك الى حروب أهلية أستعان بها الثوار بفليب أغسطس واستمرت حتى وفاة الملك جون سنة ١٢١٦. أن الغاية الاساسية من حرب النبلاء تلك هي محاولتهم السيطرة على المؤسسة المملكية بعد أن تم لهم تحديدها في العهد الاعظم .وظهر ذلك جليا في مواقفهم في عهد الوصاية على هنري الثالث وما بعدها ١٢١٦-١٢٧٢ . لقد كان هذا في التاسعة من عمره عند وفاة أبيه فعهد بالوصاية عليه الى وليم مارشال الذي اكد أحترام العهد الاعظم واصدر عفوا عن النبلاء المتمردين ثم عقد هدنة مع الجيوش الفرنسية سنة ١٢١٧ أنسحبت على أثرها ودامت وصايته حتى سنة ١٢١٩ ،ثم تولاها كل من الممثل البابوي باندولف حتى سنة١٢٢١ وهربرت قاضي القضاة حتى سنة ١٢٢٧ . وأن أهم ما يميز وصاية باندولف وهربرت تجدد طموح النبلاء للاستئثار بحقوق الملك.لقد استمر النبلاء في مواقفهم المتحدية للسلطة الملكية عندما تقلد هنري الثالث بنفسه مقاليد الحكم سنة ١٢٢٧. ومما ساعدهم في ذلك أرتكاب الملك لسلسلة من الاخطاء .اذ ملأ مناصب الدولة بالاجانب واكثريتهم من سافوي وبواتيه . هذا بالاضافة لعدم احرازه النجاح في سياسته الخارجية وعزا النبلاء ذلك الى سوء مشورة الحكام الاجانب اذ أشترك هنري الثالث في حروب البابا في المانيا ضد عائلة هوهنشتاوفن التي كانت تسيطر على كل من نابولي وصقلية .وذلك لقاء ما وعد البابا به هنري الثالث بأن يجعل اخاه رشارد امبراطورا للامبراطورية الرومانية المقدسة وان يتوج ابن هنري الثالث أدموند ملكا على صقلية. ولم يكتب لهذين المشروعين النجاح ولم يبين هنري منهما سوى تذمر الشعب الانكليزي لكثرة الضرائب المجباة الغايات عسكرية .قاد المعارضة لسياسة الملك الكونت سيمون دموتنفورد الفرنسي الاصل والوارث لكوتنية ليستر وكان زوجا لاخت هنري الثالث . طالبت المعارضة في أول الامر أقصاء الاجانب والسماح لهم بالاشراف على تعيين الوزراء . وهكذا فقد اصبح واضحا بأن النبلاء استهدفوا السيطرة على صلاحيات الملك. ومع ذلك فلم يكن الامر بهذه السهولة لان المتنفذين من سكان مدينة لندن والجماعات الاقطاعية الصغيرة

طالبوا النبلاء بالاشتراك معهم فيما ينوون القيام به. لذا اضطر النبلاء لدعوة لجنة تمثل الهيئاتالاجتماعية الانكليزية عقد جلساتها في أكسفورد واصدرت مقررات أكسفورد سنة ١٢٥٨. وأهم ما جاء فيها :(١) عقد البرلمان ثلاث مرات سنويا(٢) وان يتألف من مجلسين يضم الاول اثني عشر عضوا والثاني خمسة عشر عضوا للاشراف على سياسة الملك (٤) أن يكون اعضاء المجلسين في اتصال مستمرلم يكن لذلك النوع من الحكم النجاح وذلك لعدم أتفاق كلمة النبلاء ولعدم رغبتهم بالتعاون مع الطبقات الاخرى في الحكم .واسفر الوضع عن حرب أهلية بين الملك ومناصريه من جهة وبين النبلاء من جهة ثانية .وقد طلب الملك الانكليزي من لويس التاسع ملك فرنسا ان يكون حكما بينه وبين النبلاء سنة١٢٦٣ .وقد اصدر لويس التاسع قراره التحكيمي المسمى مايس أوف أميان سنة ١٢٦٤ في صالح الملك بالغاء مقررات أكسفورد .غير ان النبلاء رفضوا التحكيم وجددو الحرب التي كتب لهم النصر فيها على الجيوش الملكية سنة١٢٦٥ في موقعة لويس .وعلى اثر ذلك وجهه سيمون سنة ١٢٦٥ الدعوة لعقد برلمان يمثل كافة طبقات الشعب للنظر في أمر البلاد .وطلب من مناطق الارياف أن ترسل كل منهما فارسين وان ترسل كل مدينة نائبين عنها .ويشار الى ذلك البرلمان الذي عقد سنة ١٢٦٥ بالبرلمان الكبير والساخط .ولك تستمر هذه التجربة طويلا حيث تجددت الحرب وأنتهت بأنتصار الملك ومقتل سيمون في السنة المذكورة في موقعة أفرشام ثم الغيت مقررات اكسفورد ولم تعد هناك مقاومة تذكر .ولعل أهي حدث دستوري في التاريخ الانكليزي في العصر الوسيط هو البرلمان النموذجي الذي أمر الملك ادورد الاول ١٢٧٢-١٣٠٧ بعقده في سنة ١٢٩٥. وكان ذلك البرلمان على غرار برلمان سيمون والفرق بينهما ان الاول عقد بأمر من الملك لكي تشاركه الامة في تلافي خطر الثورة في اسكوتلاند. ومما هو جدير بالذكر أن أجتماعات الفرسان كانت منفصلة عن أجتماعات ممثلي المدن وبقيت على هذه الشاكلة حتى سنة ١٣٤٣ ،اذ نتج عن اندماجهما مجاي العموم.كما نتج عن أندماج اجتماعات النبلاء ورجال الدين مجلس اللواردات .يعتر عصر أدورد الاول فترة خطيرة في التاريخ الدستوري لانكلترا . ففيه أخذت القوانين والمحاكم والبرلمان أشكالا متميزة حافظت على مظاهرها العامة حتى العصور الحديثة .واطلق على ادورد لقب جستنيان أنكلترا لما قام به من تشريعات ساهمت بشكل فعال في التطور الدستوري لتلك البلاد . ومن أهم تشريعاته في هذا الشأن هي قانون ويستمنستر الاول سنة ١٢٧٥ عالج فيه الادارات المحلية والمعاملات الاقتصادية الخارجية ثم قانون كلوسستر سنة ١٢٧٨ الغي فيه كافة المحاكم الاقطاعية التي لم تؤسس بارادات ملكية .ثم أصدر سنة ١٢٥٨ قانون ويستمنستر الثاني حاول فيه تلافي النواقص في قانون ويستمنستر الاول في القضايا الادارية وتنظيم المحاكم مؤكدا فيه ضرورة أنتقال الاملاك الاقطاعية الى الابن الاكبر وفي حالة عدم وجود وارث تسلم الاملاك الى الملك.

فرنسا (المحاضرة الثامنة)

اسرة كابيه ٩٨٧-١٣٢٨

يمكن اعتبار فرنسا كألمانيا وليده معاهده فردون سنه٨٤٣.واصطلى القطر بنار الحروب الأهليه طيله القرن العاشر حول التسابق من اجل العرش.والاسرتان المتنافستان هي الأسره الكارولنجيه واسره ادوكونت باريس والتي أصبحت تعرف بلعائله الروبرتيه هذا وقد انتهى حكم الأسره الكارولنجيه في فرنسا عَلَى اثر وفاه اخر وريث كارولنجي مباشر سمه ٩٨٧ الا وهو شارل الخامس لذا عقد النبلاء مؤتمر في سنلس أسفر عن انتخاب هيو كابيه ٩٨٧-٩٩٦ ولم يتميز حكمه بشيئ هام سوى استخذائه لأمراء الإقطاع واظطر الى توزيع ما لديه من ممتلكات خاصه للاخرين املا في كسب الأعوان ثم تلاه روبرت الثاني ٩٩٦-١٠٣١وهنري الاول ١٠٣١-١٠٦٠ولم يحدث في عهديهما حوادث تستحق الذكر اما فيليب الاول ١٠٦٠-١١٠٨فقد حاول توحيد املاك التاج الممتده من باريس الى اورلين وتمكن قبيل وفاته من استرداد قلعه مونتيري عَلَى مقربه من باريس وتعتبر فتره حكمه (فاتحه عهد جديد في تاريخ الملكيه الفرنسيه) كما سيتوضح ذلك فيما بعد.كانت فرنسا فعليا في القرن الحادي عشر تحت حكم الاقطاعيين وليس للملك فيها سلطه عمليه ولم يكن أمراء الإقطاع هناك عَلَى شاكله واحده في القوى والإدارة فلم يكن بأستطاعه أمراء اكويتين غرظ السيطره عَلَى مناطقهم الوعرة لذا فتمرد الاتباع فيها من الأشياء المألوفه اما الدوق برغندي فكان أشبه في وظعه بأمير اكويتين فأكثرية اتباعه لاهم لهم سوى السلب وقطع الطرق في جبال الالب وكانت دوقيه بريتاني الى حد ما في عزله عن فرنسا في التراث والمعالم الطبيعية اذ ان سكانها من أصل كلتي لهم لهم عاداتهم ولغتهم واعتزازهم بماظيهم بلرغم من فقرهم المدقع غير ان

اماره أنجو كانت تتمتع بشيئ من الاستقرار والإدارة الحازمه اما امارتي شابين وبلوا كانتا في فوظى مزمنة ومن أغنى مناطق الجنوب اماره طولوز خاصه في القرن الحادي عشر وما تلاه نظرا لاستئناف التجاره في البحر المتوسط ومع ذالك فلها ثقافتها الخاصه التي هي اقرب الى اسبانيا وايطاليا منها الى فرنسا ومن اهم الإمارات التي احتفظت بحكومات إقطاعية قويه هي نورمندي وفلاندرز ان الأجزاء الشماليه الفرنسيه في القرن الحادي عشر اهدأ بصوره عامه من الاقسام الجنوبيه ومن اهم ما يلاحظ في تلك الفتره في كافه الإرجاء تقريبا زياده النفوس الناشئه عن قله الوفيات وكذالك هجره الفرنسين الى أنحاء اوروبيه اخرى سواء عن طريق الهجره السلميه او المسلحه وأخذ رجال الإقطاع هناك يحرظون فلاحيهم عَلَى الهجره طلبا لأراضي جديده وشاهد القرن إعداد كبيره من الفرسان ورؤسائهم تهاجر شرقا الى المانيا او الجنوب الشرقي الى إيطاليا او الجنوب الى اسبانيا او غربا الى البرتغال فا السلالات الحاكمةفي البرتغال فالسلالات الحاكمه في البرتغال في الأدوار الاولى تنتمي الى أصل برغندي، ويعتقد بعض المؤرخين انان هجوم وليم الفاتح الى إنكلترا من مظاهر ذالك التوسع الفرنسي وكذالك الهجره النورمنديه الى الاقسام الإيطالية الجنوبيه ولم تكن المؤسسه الملكيه الفرنسيه ذات شأن حتى النصف الثاني من القرن الثاني عشر ومع ذالك لم تدخر وسعا في انتهاز الفرص للظرب عَلَى أيدي الاقطاعيين وتوسيع صلاحيتها عَلَى قدر الأمكان وهناك عوامل متعدده ساعدت الملوك في هذا المسعى منها -1 .بلرغم مما وصلت اليه تلك المؤسسه من ظعف فلم تزل ترمز آنذاك الى ماظي فرنسي مجيد فهي ميزات كلوفس وشارلمان وان ملوك فرنسا لهم السياده العليا بصوره نظريه عَلَى الاقل عَلَى فرنسا من الفلاندرز شمالا حتى لبرانس جنوبا ومن الأطلسي غربا حتى الراين شرقا -2تقع املاك التاج في منطقه ستراتيجه خطيره فهي في وسط فرنسا التي تشرف عَلَى اهم طرق المواصلات هذا بلاظافه الى شهره باريس وعظمتها عند الفرنسين-3 .أصبحت الملكيه ملاذا الطبقه المتوسطه الناشئه في المدن ضد. تعسف الاقطاعيين -4التحالف الوطني بين التاج والمذبح او بمعنى بين ملوك فرنسا والبابوات او بين الكنيسه والدوله وادت تلك العلاقات الايجابيه الى تساهل البابوات مع رؤساء الدين في فرنسا والموافقه عبى منحهم الامتيازات اداريه في القظايا الكنسيه وكان من مصلحه ملوك ذالك القطر فيما بعد الاحتفاظ بهذه الامتيازات والعمل عَلَى زيادتها واخد رجال الدين في فرنسا ينظرون الى الملك وكأنه حاميهم الأعلى ونتيجه لهذه العلاقات بين رجال الدين والبابوات وبين رجال الدين وملوك فرنسا نشأ الاتجاه القومي في الكنيسه والكاثوليكيه والمسمى بلأتجاه الغالي ويجب ان لايفهم من هذه التسميه ان هناك خلافات بين روما والكنيسة الغاليه اذ بقت الثانيه مخلصه في قظايا العقائد الدينية في كنيسه روما. ولم يحاول ملوك فرنسا طيله تاريخهم الانفلات من الفللك البابوي بلرغم مما كان بينهم من مشاكل وهناك عوامل اخرى ساعدت عَلَى شد ازر المؤسسه الملكيه في فرنسا تلاحظ في سياق فترات ذالك القطرولم يحاول ملوك فرنسا طيله تاريخهم الانفلات من الفللك البابوي بلرغم مما كان بينهم

من مشاكل وهناك عوامل اخرى ساعدت عَلَى شد ازر المؤسسه الملكيه في فرنسا تلاحظ في سياق فترات ذالك القطر.

فيليب الاول ١٠٦٠-١١٠٨

حدثت في عهده حادثتان مهمتان وبذالك تخلص فيليب من أقوى الاتباع لأنشغاله بمشاكل ذالك القطر كما أدى ذالك الفتح في المدى البعيد الى استيلاء ملوك فرنسا عَلَى الممتلكات النورمنديه في فرنسا والثانيه هي الحمله الصليبيه الاولى التي جرفت عددا لايستهان به من أمراء الإقطاع الفرنسيين الى الاراضي المقدسه.

لويس السادس ١١٠٨-١١٣٧

قضى حياته مدافعا عن الاملاك الكنسيه في اراظي التاج والحد من نشاط اتباعه المتمردين في تلك المناطق وقد اصبح اخيراً صاحب السلطه الفعليه في املاك التاج وقيل عنه انه موفق في الاعمال البوليسيهًاكثر من أعماله السياسيه ومع ذالك فلم يتمكن من فرظ سيطرته عَلَى الاراضي الفرنسيه خارج الاراضي الملكيه ولم يحاول استغلال الصراع بين هنري الاول ملك انكلترا وروبرت أمير نورمندي لمصلحه بلاده غير انه حاول فيما بعد عبثا بعد مؤازره المدعي بدوقيه نورمندي وجرَّت عليه. هذه السياسه الحرب مع إنكلترا كما ان محاولته ضم فلاندرز الى أملاكه عادت عليه بخسران ماله من نفوذ هناك كذالك سائت علاقته مع إمبراطور امبراطوريه الرومانية المقدسه هنري الخامس حيثما ساعد البابويه في كفاحها ظد الامبراطوريه وهدد الأخير بغزو فرنسا سنه١١٢٤ .اظهر لويس السادس حزما اداريا في املاك التاج وأشار سوجيه واظع كتاب تاريخ حياه لويس السادس بأن الملكعمل دراسه وافيه لاحوال السكان عَلَى اختلاف طبقاتهم توخيا للعداله في الحكم وأيدته الكنيسه تأييدا فعالا ووضعت تحت تصرفه مالديه من خبراء في الاداره والحكم ومن اهم الشخصيات الدينيةسوجيه وقد تمكن لويس من إقناع الينور ورائه اماره اكويتين من الزواج من ولي عهده وتعتبر تلك الدوقيه من الأجزاء الفرنسيه إلهامه اذا تبلغ مساحتها حوالي ربع مساحة المملكه.

لويس السابع ١١٣٧-١١٨٠

لم يكن هذا موفقا في حكمه لارتكابه عده اخطاء أعاقت تقدم الملكيه وذالك لاشتراكه في الحمله الصليبيه الثانيه التي لم تجن فرنسا منها سوى الهزيمه والخسائر. الفادحه وكذالك لخسارته لإماره اكويتين عَلَى اثر طلاقه الينور التي تزوجت من خصمه الثاني ملك إنكلترا اعتمد في سياسته الخارجيه عَلَى سوجيه ايظا ونظرًا لمواهب هذا السياسي وأهميته في تاريخ فرنسا يجدر ان نلم بشيئ من حياته ينتمي سوجيه الى عائله دينيه تثقف ثقافه دينيه

وأصبح رئيسا لدير القديس اما اتصاله بلأسره المالكه فكان عن طريق المدرسه حيث نشأت صلات وديه بينه وبين لويس لسادس اثناء الدراسه في الدير المذكور وأظهر سوجيه برأته إداريه فائقه عندما اصبح وزيرا لكل من لويس السادس ولويس السابع وعبر عن إخلاصه في الحكم في شتى المظاهر اذ قيل عنه انه يسدد نفقات الدوله عَلَى حسابه الخاص وَمِمَّا يذكر عنه معارضته لاشتراك ملك فرنسا في الحمله الصليبيه الثانيه ونظرًا لإصرار الملك عَلَى قيادتها فقد اظطر سوجيه عَلَى الموافقه وتسديد القسم الأكبر من نفقاتها ثم عارظ في في قظيه طلاق الملك لزوجته الينور معتبرا ذالك خساره لا تعوظ لفرنسا ولم يتم الطلاق فعلا الأبعد وفاه ذالك الوزير

وبالرغم من الانتكاسة آلتي مني بها لويس السابع في حملته الصليبيه الثانيه وخسارته لدوقيه اكويتين الا ان المؤسسه الملكيه لم يتعرض لها الوهن ويعزى ذالك الى حد ما بذله سوجيه من جهود والى حوادث عرظيه قام بها لويس السابع. منها ان الأخير أدى خدمه الى البابا الإسكندر الثالث في وقت محنته مع فردريك بربوسيا امبراطور الامبراطوريه الرومانية المقدسه وبذالك فقد عمل عَلَى تقويه الروابط التقليدية بين الكنيسه والعرش وأصبح رجال الدين خير عون له في فرنسا في تثبيت ملكه وهناك يعظ الاتجاهات العامه في المجتمع الفرنسي التي ساعدت عَلَى تقويه المؤسسه الملكيه في عهد لويس السابع اذ اخذ الاقطاعيون الصغارأو النوافذ عَلَى الهيئات الملكيه متنازلين عن قسم من ممتلكاتهم وسلطاتهم الفعليه الى للحكومه المركزيه لقاء حمايتهم من جور النبلاء الأقوياء كما أصبحت المحاكم الملكيه تجتذب المتخاصمين لنزاهتها وسطوتها وأخذت تحل تدريجيا محل المحاكم الإقطاعية وهناك ايظا التقارب بين المؤسسه الملكيه وسكّان. المدن في الأوقات التي تلتقي فيها مصلحه الطرفين ضد أمراء الإقطاع.

فيليب الثاني ١١٨٠-١٢٢٣ .بذل فيليب الثاني الملقب بأغسطس جهوده لجعل الاداره الحكومية الملكيه تحقق العداله للسكان وتبعدهم عن الإدارات الاقطاعيه توج هذا ملكا ووالده عَلَى قيد الحياه ونهظ بأعباء الحكم وله من العمر اربع عشره سنه ومن أوائل اعماله التي ساعدت عَلَى اشتداد الملكيه زواجه من وريثه اماره أرتوا وكذالك احياء الإمارات الاقطاعيه العائده للعائلي المالكه في مناطق اخرى من اجل توسيع رقعهالمناطق التي كانت تحت حكمه مباشره لهذا شهد حربا مع أمير فلاندرز بحجه استعاده حقوق زوجته في تلك الاماره وظم فعلا اجزاء مهمه منها الى املاك التاج. ثم استغل النزاع بين اولاد هنري ملك انكلترا وابيهم لإظعاف الملك الانكليزي والاستيلاء عَلَى بعظ الأجزاء من ممتلكاته في فرنسا ومن اهم المعارك التي خاظها الفرنسين في هذا الشأن معركه بوفين سنه ١٢١٤حيث أنتصر فيها عَلَى جيوش الملك جون اعتمد في سياسته الإدارية عَلَى طبقه من الموظفين تدعى بايي يعينهم الملك مباشره وقام بدفع رواتب شهريه لهم وحلت تلك ألطريقه محل النظام القديم الذي اعتمد

عَلَى الموظفين الوراثين المشار لهم وعلى هاذا الأساس يعتبر فيليب اغسطس من أوائل ملوك فرنسا الذين ساهمو في خلق جهاز الخدمه المدنيه واهتم ايظا في الجبايه اذا اصد اوامره بضروره اسحصاله لاموال الدوله بدلا من استيفائها بشكل خدمات او مدفوعات نوعيه وشجع المدن الناشئه بمنحها امتيازات إداريه متنوعه اما سياسته الإدارية تعتبر انقلابا او ثوره عَلَى الأساليب الحربيه القديمه حيث آمر بتشكيل الجيوش المركزيه من الجند الأجير لتحل محل الجيوش الاقطاعيه ومن مشاريعه الحربيه اشتراكه في الحمله الصليبيه التي دعا اليها البابا أنوسنت الثالث ضد الالبجنسين في جنوب فرنسا.

لويس الثامن ١٢٢٣-١٢٢٦

يمتاز حكمه بأمرين هامين الاول احتفاظه بلجهاز الحكومي الذي خلفه والده والعمل عَلَى تقويته ومن الأساليب التي ابتكرها هَو نظام التطهير الحكومي وذالك بلاستغناء عن الموظفين المرتشين والمتهاونين للمحافظه عَلَى سمعه الاداره الملكيه وكفائتها والثاني مساهمته في الحرب الصليبيه ضد فرقه الالبجنسينوحصل بذالك عَلَى مناطق غنيه في الاقسام. الجنوبيه هنري بيرين سياسه لويس الثامن التوسعيه باسم الدين بسياسه كلوفس الاعتدائيه ظد مملكه الغوط الغربين في جنوب فرنسا وقد مات لويس الثامن مجاهدا في سبيل الكنيسه في حملته تلك.

لويس التاسع ١٢٢٦-١٢٧٠

كان في عمر الثالثه عشر من وفاه والده فتولت امه بلانش الوصايه عليه ينه ١٢٢٦-١٢٣٥ فاحكمت تربيته من ناحية دينيه ولقب بلقديس لتدينه وولائه في سبيل الكنيسه وكثير مايرى وهو يغسل اقدام المرظى والفقراء تقربا الى آللّٰهِ وقد تجرأت عليه احدى النساء محتاجه عَلَى تصرفاته الدينية تلك بقولها انه من الاولى ان يكون غيرك ملكا عَلَى فرنسا لان ملك الفرنسكان والدومنيكان لِآ ملك الفرنسين انه أمن العجيب حقا انه لم يخلعك الفرنسين لحد الان فأجابها بكل هدوء(قلت حقا لم أكن لاستحق هذا العرش ولو لطف بي الرحمن لجعل غيري يحكم فرنسا بشكل افظل) وبلرغم من تدينه لم يفرط في حقوق المؤسسه الملكيه لصالح البابا ومع ذالك فقد يلام من قبل البعظ لإدخاله محاكم التفتيش الى فرنسا لقد ازدادت المؤسسه الملكيه مناعه في عهده وخاصه عند انتصاره عَلَى التحالف الاقطاعي العسكري حيث تألب عليه كل من أمراء فلاندرز وبريطاني وبرغندي وكاسكوني ولاندكوك

سنه١٢٤٢ وتمكن من تشتيتهم في سينتز وتعتبر تلك الحادثه اخر محاولات الاقطاعيين المستهدفة اليسيطره عَلَى المؤسسه الملكيه في فرنسا.

ومن اهم التطورات القظائيه في عهده تكوين برلمان باريس وهذا عباره عن مجلس قظائي وليس له شبهه بلبرلمان الانكليزي وهو مجرد محكمه عليا تنظر في كافه الدعاوي المرفوعة اليه من المناطق الإدارية الملكيه وقد تكون في كل منطقه إداريه في ما بعد محكمه قظائيه ملكيه يشار لها بلبرلمان ايظا الا ان محكمه باريس العليا بقيت ولها القول النهائي في الأمور القطائيه وبقي برلمان باريس فعالا في تاريخ فرنسا حتى الثوره الفرنسيه سنه ١٧٨٩ .قاد لويس حملتين صليبيتين الاولى سنه ١٢٤٩ وتمكن بها من احتلال دمياط وتقدم بلزحف نحو القاهره الا ان الجيوش الحربيه ردته عَلَى اعقابه وتمكنت من تأسيره ولم يطلق سراحه الا بعد قبوله الشروط المصريه المتظمنه الانسحاب من دمياط ودفع الفديه ومع ذالك فقد واصل سبيله آَلْى الاراظي المقدسه حيث مكث في عكا حتى سنه١٢٥٣وقد ناشد المغول مرتين لاستعدائهم علو الديار الاسلاميه الاولى كانت في سنه ١٢٤٩والثانيه١٢٥٣ولم تأت المحاولتان بنتائج ايجابيه مباشره ١٢٧٠لتأثيرات أخيه ملك الصقليتين شارل الايخوى وقد توفي لويس اثناء حصاره لتونس.

فيليب الثالث ١٢٧٠-١٢٨٥

كان أقوى ملك في اوروبا آنذاك ويرجع ذالك الى الخطه الحكيمه التي اتبعها والده الا انه كان الى حد ما تحت تأثيرات عمه شارل الايخوي وقد ازدادت املاك التاج في عهده بلوراثه والمصاهرة اذ ورث بواتيه وطولوز وزوج ابنه من وريث مملكه نافاز ودوقيه شامبين اشترك في الجهه العسكرية البابويه ضد الاراكون حول العرشالصقلي غير ان الجيوش الاسبانيه الاراكونيه تمكنت من دحر جيوش فيليب الثالث الذي توفي اثناء الانسحاب.

فيليب الرابع ١٢٨٥ -١٣١٤ يعتبر هذا من ملوك فرنسا الانتهازين المؤمنين بأن الغايه تبرر الواسطه ويشير البعظ الى انه كان مظطرا لاتباع ذالك الأسلوب تعزيزا لمركزه وان الاعمال التي قام بها استهدفت خدمه المصالح الفرنسيه لقب فيليب الرابع بلجميل الحسن محياه هدف من وراء سياسته الى فرظ السلطه المركزيه عَلَى كافه الفئات والمؤسسات في بلاده واراد ان يجعل الاقتصاد الفرنسي معتمدا عَلَى التجاره والصناعة بلاظافه الى الزراعه وان يَصْل بفرنسا الى حدودها الطبيعية اعتمد في ادارته عَلَى فقهاء القانون أمثال بير فلوت ونوكاريت وكان كل منها لْ آإإ،.،، "Ñøيتحرج من اتباع إإأْ ي -Ÿ-'-ê-'-ś-'-:-) أسلوب سياسي في خدمه الملك مهما كان متعارظا مع الفظيله والعرف وتمكن فيليب بمساعده هذين

السياسين من فرظ المحاكم الملكيه عَلَى الاقطاعيين واخطاعهم والانتصار عَلَى البابويه وجعل البابوات أشبه بلاسرى في فرنسا في الفتره المسماه بلاسر البابلي ١٣٠٥-١٣٧٧.

يفسر البعض سياسته الاعتدائيه تجاه الباوبويه وفرسان المعبد واليهود بأحتياجه الدائم الى الأموال في مشاريعه التوسعيه اذ امر الاقطاعيين بأيفاد ماعليهم من تعهدات نقدا للتاج وكثيرا نا لجأ الى التلاعب بلعمله من اجل تلافي نفقاته كما امر بطرد اليهود سنه ١٣٠٦مرظاه للرأي العام الكاثوليكي ظاهريا والاستيلاء عَلَى ثرواتهم باطنيا ثم صادر املاك فرسان المعبد سنه١٣٠٧وامر بطرد رجال المصارف الماليه من الايطالين سنه ١٣١١.

ولعل من اهم أعماله الإدارية دعوته لطبقات الشعب الثلاث من

٢٠٠رجال الدين والنبلاء وممثلي المدن سنه١٣٠٢ ودعي ذالك المجلس بمجلس الطبقات وهكذا أصبحت الطبقه المتوسطه معترفا بها لأول مرا في حياتنا من ناحيه سياسيه وإلغايه الأساسيه من عقده ذالك المجلس كسب تأيد الشعب في نظال فيليب الرابع ظد البابا يونيفس الثامن وكذالك لفرظ الظرائبً وبلرغم مما يذكر عن فيليب الرابع من سياسه انتهازية فهو من مكوني فرنسا الحديثه اذ أصبحت الحكومه الفرنسيه في اراظي التاج من ألقوه والمنعه بمكان كبير ولم يعد بمقدور الاقطاعيين تحدي الملك بتلك السهولة وأخذ ينظر الى الملكيه في عهده بأنها مصدر القانون والعداله ان هذه النظره الفقهية ماهي الا تقليد روماني واحياء لمفاهيم القوانين الرومانية التي تعتبر رئيس الدوله رمز العداله ومصدر السلطه وبعل من ابرز فقهاء القانون في عهده هو بيبر ديرا ١٢٣٥-١٣١٢ الذي كان من إعظاء مجلس الطبقات وجاء هذا بأراء ثوريه بلنسبه لعلاقه الدوله بلكنيسه اذ قال بتفوق الاولى وأشار ايظا الى مساواه المراه مع الرجل والى ظروره سياده فرنسا عَلَى القاره الاوربيه وله آراء فريده في كيفيه استعاده الاراضي المقدسه٦١

ألمانيا و إحياء الامبراطورية الرومانية المقدسة المحاضرة التاسعة

الأسرة السكسونية

هنري الثالث

هنري الصياد

هنري الرابع

أوتو الأول

هنري الخامس أوتو الثاني أسرة الهوهنشتاوفن أوتو الثالث كونراد الثالث هنري الثاني فريدريك باربا روسأ الاسرة السالية هنري السادس كونراد الثاني فريدريك الثاني

أدى خروج البرابرة إلى قلب أوروبا إلى نقص سكان الأقاليم الشماليه ومنها ما يعرف بأسم المانيا، فتحركت عناصر اخرى من اقليم بحر البلطيق في اتجاه الغرب ليحلوا محل القبائل النازحة . وبذلك أصبح نهر الألب هو الحد الفاصل بين الأجناس التي هاجرت مؤخراً وبين العالم الغربي . واستقر من بقي من القبائل الألمانية غرب نهري الألب والسال ، فاستقر السكسون في شمال المانيا الوسطى ، والفرنجة الشرقيون في حوض الراين الأدنى ، وبين السكسون والفرنجة الشرقيون استقر الثورنجيون . أما البافاريون (الماركوني من قبل) فكانوا في في حوض الدانوب الأوسط . والسوابيون (الويفي من قبل) فقد استقروا على اعالي ضفاف نهري الراين والدانوب وما بينهما ثم وسعوا اقاليمهم وانتشروا على طول جبال جورا والألب الشمالية . وواقع الأمر لم يكن في اوروبا حتى هذه المرحلة ما يسمى دولة المانيا ، وإنما كان هناك قبائل المانية ، ولما فتح شارلمان هذه المناطق جمعها في وحدة واحدة ووضع لها نظاماً دفاعياً مشتركاً لحمايتها من الاخطار الخارجية . ولكن انهيار الامبراطورية في عهد خلفائه فكك هذه الوحدة ، وعادت النزعة القبلية من جديد تعارض اي تجمع لهذه القبائل في وحدة واحدة ٠

وإذا تتبعنا تاريخ هذه المنطقة منذ معاهدة فردان (٨٤٣م) نجد أن لويس الثاني اصبح ملكاً على هذا الأقليم الذي نطلق عليه المانيا ٨٤٣-٨٧٦م . وبعد وفاة لوثر ملك اللورين في عام ٨٦٩ م عقدت معاهدة مرسن في العام التالي ٨٧٠ م ، وبموجب هذه المعاهدة ، اضيف إلى املاك لويس الثاني اراضي جديدة ، واصبحت حدود المانيا هي الارض المحصورة بين نهري الراين والألب وبعض اجزاء من إقليم اللورين . وعند وفاة لويس الثاني في العام التالي ٨٧١م قسمت الدولة بين اولاده فعمت الفوضى انحاء البلاد حوالي ست سنوات . وخلال هذه الفترة انتهزت العناصر الشمالية الفرصة وأغارت على مدن الراين . بعد هذه الفترة المضطربة اختير ارنولف وهو ابن غير شرعي لكارولمان -دوق بارفاريا - ابن لويس ملكاً على المانيا ٨٨٧-٨٩٩ م ، وقد نجح أرنولف هذا في صد العناصر المغيرة وردها على أعقابها ، وتوج امبراطور في عام ٨٩٦ م . وخلف أرنولف ابنه لويس المعروف بأسم لويس الطفل ٨٩٩-٩١١ م في عرش المملكة ، ويتضح من كنيتة أنه كان اصغر وأضعف من أن غارات المجريين الذين عاودوا الهجوم على البلاد الألمانية وأجتاحوا بافاريا وسكسونيا وثورنجيا . واصبحت الحكومة عاجزة عن صد المغيرين والدفاع عن البلاد وترتب على ذلك أن تولت كل مقاطعة أمر الدفاع عن نفسها ، وتصرف كل حاكم في أمور ولايتة في جميع المجالات الادارية والعسكرية وغيرها . ومع عجز الحكومة المركزية قويت الولايات وزادت قوتها بما اعدوه من قوات لصد الغزاة وهكذا انفصلت الولايات عن التاج تدريجياً حتى استقلت في نهاية الأمر وقامت المانيا الاقطاعية. وعندما توفي لويس الطفل عام ٩١١ م ، ألغي مبدأ وراثة العرش في المانيا في هذه المرحلة ، فقد اختار الاعيان وكبار رجال الدين كونراد الأول دوق ولاية فرانكونيا ملكاً على البلاد (٩١١-٩١٨م) وحقيقة الأمر لم يكن كونراد ملكاً بالمعنى المفهوم وإنما كان ملكاً من الناحية الاسمية أو بمعنى اخر كان ممثلاً لحكام الولايات وعلى إية حال لقد اصبحت الملكية انتخابية ، وهو أمر كانت له مشاكله

لسنوات طوال . والمهم أنه خلال حكم كونراد ظلت النزاعات الانفصالية كاملة حينا وتشتد حينا آخر . وكان على رأس هؤلاء هنري دوق سكسونيا أقوى امراء الولايات الألمانية والخصم العنيد للملك . كما تعرضت المانيا لجانب من الأخطار الخارجية وعلى هذا يمكن القول أن المانيا فشلت في هذه المرحلة في اقامة حكومة مركزية قوية وفي صد الاخطار الخارجية . وقد ادرك كونراد هذه الحقيقة ورأى أن لأمر يحتاج لشخصية أقوى منه تستطيع أن تجمع شمل البلاد في دولة قوية تمكنها من التصدي للاخطار الخارجية ، لذلك رشح وهو على فراش الموت هنري دوق سكسونيا، وهو الذي توسم فيه كونراد صفات الملك المرتقب .

الأسرة السكسونية هنري الأول (الصياد) (٩١٩-٩٣٦م)

وافق الأمراء على ترشيح كونراد واصبح هنري السكسوني المعروف بالصياد **Henry The Fowler** نظراً لشغفه لصيد الطيور ملكا علي المانيا ، ومع هنري يبدأ عصر الأسرة السكسونية التي حكمت المانيا ما يزيد عن قرن من الزمان (٩١٩-١٠٢٤م) ، وشغل عرش المانيا في هذه المرحلة هنري الأول (٩١٩-٩٣٦م) وأوتو الأول (٩٣٦-٩٧٣م) ، وأوتو الثاني (٩٧٣-٩٨٣م) وأوتو الثالث (٩٨٣-١٠٠٢م) ، وهنري الثاني (١٠٠٢-١٠٢٤م) . ولا نستطيع في هذه المرحلة أن نتتبع تفاصيل عهد كل ملك ، ونكتفي بإلقاء الضوء على اهم الأحداث والتطورات حتى نهاية هذه الأسرة . ظلت دوقية سكسونيا أقوى دوقيات المانيا ، وكان اعتلاء هذه الأسرة عرش المانيا بمثابة صفحة جديدة في تأريخ أوروبا لعصور الوسطى بوجه عام وتاريخ الدولة الألمانية بوجه خاص فمنذ هذه الفترة دخلت المانيا

مرحلة جديدة من القوة السياسية والعسكرية ، فضلا عن الأزمات والرخاء الذي عم البلاد . وعلى اية حال ، ترجع هذه الفترة الى بداية حكم هنري الصياد الذي مهد الطريق أمام خلفائة في عرش المانيا ، وأقام دولة ثابتة بوضع أمس السياسة الألمانية ، وهي السياسة التي قامت على أساس التصدي للمشاكل الداخلية والخارجية بشكل حازم وفعال . لم يلق اختيار هنري ملكا وضاء الجميع ، فهو الحاكم القوي ، والأمراء لا يقبلون حاكما قويا ينقص من سيادتهم على اراضيهم ، وربما قبلوه في بداية الأمر لجميع شمل البلاد أو خوفا من قوته ، وعلى ذلك واجه هنري العديد من المشاكل مع امراء الدولة الذين كانوا يحاولون توسيع رقعة نفوذهم ونبذ السلطة المركزية والاستقلال بمقاطعتهم . وتجلت في هذه المرحلة صورة الأقطاع الذي يرى في ضعف الدولة زيادة لنفوذه ، وتجلت حكمة هنري في معالجة هذه القضية المعقدة لأن الخطر الداخلي أقوى بكثير من الأخطار الخارجية ، وعالج هنري مشاكلة مع الأقطاع باللين والسياسة تارة و بالعنف والتهديد تارة اخرى ، واخيرا تمكن من توطيد دعائم حكمه في أسرته من بعده .وفي المجال الخارجي كانت غارات النورمان من الشمال والسلاف من الشرق مستمرة على حدود المانيا . وتطلب الأمر اعداد جيشا قويا ، وقد نجح في هذا الى حد كبير ، ولم يكتف بذلك فبالاضافة الى النظم الحربية التقليدية من المشاة . وبهذه الطريقة الجديدة نجح هنري في انزال الهزائم بالعناصر المغيرة وخاصة المجريين في عام ٩٣٣ م ، ٩٣٥ م . ورغم انتصارات هنري إلا ان الغارات على الحدود لم تتوقف . وفكر هنري في نظام جديد يوقي به البلاد شر غارات المعتدين فأقام خطأ دفاعيا على الحدود عرف بأسم الماركيات . وتكون هذا الخط من نقط حصينة على الحدود في اماكن متقاربة ، وخصص لحراسة هذه الأماكن القلاع الخشبية المشحونة بالجند المدربين المستعدين للتصدي لأي

هجوم مفاجئ . وبذلك اصبحت هذه الماركيات بمثابة خط الدفاع الأول عن الدولة وحدا فاصلا بين المانيا وما جاورها . ويلاحظ ان هذه القلاع الحدودية ستنمو وتقوى في عهد خلفائه حتى تمتد من البلطيق شمالا الى الأدرتيكي جنوبا .أوتو الأول (٩٣٦-٩٧٣م (سقط حق انتخاب الملك الألماني بعد عهد هنري الصياد ، فبعد وفاته تولى ابنه أوتو عرش المانيا وكان في الرابعة والعشرين من عمره ، ولكنه مع هذه السن الصغيرة كان مليكآ بحق في مظهره ومخبره ، وقد نجح أوتو نجاحآ كبيرء في سياسته الداخلية والخارجية حتى اطلق عليه معاصره لقب أوتو الكبير . واتخذ أوتو في سياسته الداخلية أساليب جديدة يمكن أن نقسمها الى ثلاثة ، وتمت على ثلاث مراحل .والواضح أن أوتو كان يستعمل اسلوبآ ثم يعالجه باسلوب آخر وهكذا . وأول هذه الأساليب أن أوتو لجأ في بداية عهده إلى اضفاء القاب التشريف علي الامراء ونجح في اقناع الادواق بأن يؤلفوا حاشية كبيرة في حفل التتويج الذي اقيم في مدينة إكس لاشايل (آخن) وخو الحفل الذي توج فيه أوتو. على يد هيلدبرت رئيس أساقفة المدينة . ولكن هذا الوفاق لم يدم طويلا فقد حقد هؤلاء الأدواق على أوتو بعد ما وجدوا له من نفوذ مطرد . وقد نجح هؤلاء الأدواق في اغراء هنري أخا أوتو بتدبير مؤامرة تخلع الملك من العرش ، إلا أن اخبار هذه المؤامرة وصلت إلى مسامع أوتو فقضى عليها في مهدها ، ولم ينزل العقاب بأخيه فعفه عنه ولم يكن عفوه ضعفا بل كرما ولحكمة رآها ، لأن من ينزل عقابا بأخيه ينزل بغير أخيه عقابا أشد وأنكي ، وسيكون لهذا كله أثره في سير الأحداث . وحتى لا يتمرد هؤلاء الأدواق وجد أوتو أنه لا بد من كسر شوكتهم وهي الطريقة الثانية التي اتبعها الملك . ولم يلجأ في ذلك إلى القوة بل لجأ إلى اسلوب آخر ، وهو خلق دوقيات جديدة منحها لاصدقائه وأقربائه المخلصين ، وبذلك أصبح الادواق الدائبو التمرد قلة وسط الدوقيات الجديدة . وهكذا نجح أوتو في اضعاف الادواق بطريقة غير دموية . ولمزيد من السيطرة على الدولة والكنيسة لجأ أتو إلى الطريقة الثالثة ، وهي أنه نجح في كسب الأساقفة الألمان الى جانبه ، وأصبح رجال الدين مساعديه ومستشاريه في الشؤون الدينية ودنيوية ، بل وصل رجال الحد إلى أن اصبح بعضهم من قواده . وبهذه الوسيلة امام نظام قويآ يعتمد على العلمانيين ورجال الدين . وبعبارة أخرى اتخذ أوتو من الدين المسيحي قوة لتوحيد البلاد وبذلك صهر الولايات الألمانية في دولة واحدة قوية . وهكذا نجح أوتو في القضاء على الاقطاع وأقامت المانيا القوية الموحدة .وكما نجح أوتو في السياسة الداخلية فإن الأمر لا يختلف في سياسته الخارجية ، فقد هاجم الماجيار في عام ٩٥٥ م وانتصر عليهم ، ونجح رجال الدين في ادخال بعضهم في الديانة المسيحية ، فقد اعتنق ملكهم الديانة المسيحية وعرف بأسم القديس ستيفن وانضم اليه حوالي الف من الماجيار وأقامو اسقفية في مدينة جران كما نجح وتوالى إرغام ملك الدانمرك ودوق بولندا ودوق بوهميا على أن يعترفوا به اقطاعيآ . وعلي ذلك يرى البعض أن أوتو يعتبر شارلمان المانيا.

تتويج أوتو وإحياء الامبراطورية تطلعت المانيا دون غيرها من دول أوروبا للحصول على اللقب الامبراطوري ، بطرق متعددة للوصول إلى هذه الغاية ، ومن الغريب أننا لا نلاحظ مثل هذا الموقف في بقية دول أوروبا خاصة انجلترا وفرنسا اللتان كاننا في بعض المراحل اقوى من المانيا . وعلى أية حال كان أول من تطلع للحصول على اللقب الامبراطوري من ملوك المانيا هو أوتو ، وحانت له الفرصة عندما دعته أدليد الجميلة -أرملة لوثر ملك مقاطعة

لمبارديا الايطالية -لمساندتها ضد برنجار أحد الحكام المحليين .دخل أوتو ايطاليا عام ٩٥١م واستعان بالزواج على السياسة وتزوج من أدليد لتصبح الزوجة الثانية ، فقد كانت الأولى هي اديت الانجليزية ، وترك لبرنجار الاحتفاظ بإمارته على أن يكون اقطاعياً تابعاً للملك أوتو . ولكن الأمور سارت علي عكس ما تبينه أوتو ، فقد اعترض الأمراء الايطاليون على هذا الوضع ورفضوا الاعتراف بالملك أوتو ، وفي الوقت نفسه ظهرت حركة تمرد ضده في المانيا تزعمها إبنه لودلف دوق سوابيا ، وكونراد الأحمر زوج ليوتجراد ابنة أوتو . ووجد أوتو أنه بين أمريين ، إما أن يخسر المانيا ويكسب التاج الامبراطوري ، أو ينقذ المانيا ويؤجل حصوله على اللقب ، واختار أوتو الثانية وعاد سريعاً إلى المانيا ، ليجد المتمردين ليستعدون بمساعدة المجريين لغزو المانيا . وجد أوتو أنه يحارب في جبتهين بعد أن أرجأ الجبهة الايطالية فبدأ بالجبهة الداخلية ونجح في القضاء على الفتنة وعفا عن ابنه لودلف كما عفى عن أخيه هنري من قبل . والتفت للخطر الخارجي واستعد بقواته وتصدى للغزاة وانزل بالمجريين عند لخلفلد عام ٩٥٥م هزيمة ساحقة ، وهكذا نجح أوتو في البقاء على دولته وصد الغزاة ، وترتب على ذلك نتائج متعددة ، كنها أنها أعطت الفرصة للملك أوتو لاعادة تنظيم دولته حتى بدت المانيا الموحدة من اعظم دول أوروبا في هذه المرحلة . لاحت فرصة التتويج مرة اخرى للملك أوتو عندما دعى في عام ٩٦١م إلى ايطاليا وكان الداعي في هذه المرة البابا يوحنا الثاني عشر (٩٥٥-٩٦٤م) لمساندته ضد برنجار أيضآ . وختلف الحال في هذه

المرة فليس الداعي امراة وانما البابا نفسه، وفي ذلك تقوية لمركز أوتو داخل المانيا وخارجها لا على المستوى السياسي بل على المستوى الديني . غزا أوتو ايطاليا ودخل روما في آخر يناير عام ٩٦٢ م لحماية املاك البابا واعادتها اليه ، وتوجه البابا يوحنا في اوائل فبراير من العام نفسه. ووعد أوتو بإعادة املاك البابوية القائمة على هذه بيبن وشارلمان . ولكن أوتو لم يف بوعده الأمر الذي أغضب البابا وندم على تتويجه أوتو . وظل البابا يشكو أوتو لعدم إعادة املاك البابوية ، فعاد أوتو إلى ايطاليا واتخذ خطوة ليس لها سابقة في كنيسة روما ، فقد عزل البابا يوحنا الثاني عشر ووضع على عرش القديس بطرس البابا ليو الثامن (٩٦٣-٩٦٥م) . وبعد عودة أوتو إلى المانيا تمكن البابا يوحنا الثاني عشر من طرد ليو الثامن خارج روما ، وتطورت الاحداث وتم انتخاب البابا بندكت الخامس (٩٦٤-٩٦٦م) دون استشارة أوتو .فعاد أوتو إلى ايطاليا ودعى المجمع الكنسي للانعقاد وتم انتخاب بابا آخر هوه يوحنا الثالث عشر (٩٦٥-٩٧٢م .(لم تمر هذه الاحداث بسهولة فقامت حركة تمرد ضد ما قام به أوتو ، فعاد أوتو مرة اخرى في عام ٩٦٦م وقضى على حركة التمرد واعاد البابا يوحنا الثالث عشر إلى منصبه ، واقتصرت املاك البابوية في هذه المرحلة على روما واقليم سابينا ، ودخلت بقية ايطاليا في امبراطورية أوتو ، وأضحت اقطاعية من اقطاعيات التاج الامبراطوري . والمهم أن تتويج أوتو عام ٩٦٢ م . كان حدثآ بالغ الاهمية في تاريخ المانيا والبابوية لا في هذه المرحلة فحسب بل في مراحل لاحقة . فقد كان ضم أوتو لجانب كبير من ايطاليا سندا للحكام الألمان في ادعاء ميراث ايطاليا . كما كان تتويج أوتو ومن قبله شارلمان بمعرفة البابا سندا لدى البابوية التي تمسكت بأنه لا يستطيع حاكم أن يكون امبراطوراً في اوروبا إلا إذا توج بمعرفة البابا . العربي وغير العربي ، هذا كله فضلآ عن مهارته كسياسي

ومحارب وقانوني ، حتى اطلق عليه المؤرخون « أعجوبة الدنيا » (١)٠ وقد شاءت الظروف تساعد فردريك الثاني في أوائل عهده لأن البابا انوسنت الثالث توفي سنة ١٢١٦ فتحرر فرديك الثاني من سيطرته ، ولا سيما ان البابا الجديد هنريوس الثالث (١٢١٦-١٢٢٧) كان هادئ الطبع ، ففضل توجيه جهود العالم العربي نحو الحروب الصليبية بدلآ من المنازعات العقيمة بين البابوية والامبراطورية ٠

الدور الثالث من ادوار النزاع بين البابوية والامبراطورية : على أن جهود فردريك الثاني في التمكين لنفسه من جهة ، واتخاذ ايطاليا وصقلية - لا ألمانيا - مسيرحا أساسيا لهذه الجهود من جهة أخرى ، كان من شأنها أن تثير مخاوف البابوية (٢)٠ وازدادت هذه المخاوف عندما اتضح للبابوية أن فردريك الثاني غير قانع بصقلية وجنوب ايطاليا ، وأنما اخذ يعمل على توطيد نفوذه في شمالها -أي في لمبارديا ٠حقيقة ان فردريك حرص عندئذ على احترام مركز البابوية في ايطاليا ، ولكن سيطرة الامبراطور على جنوب ايطاليا وشمالها أنذرت بوقوع الأملاك البابوية بين شقى الرحى ، مما جعل البابا بنظر الى محاولات فردريك وسياسته بعين ملؤها الشك والخوف مما سيتمخض عنه المستقبل (٣)٠ وكان فردريك الثاني قد وعد البابا أنوسنت الثالث سنة ١٢١٥بالقيام بحملة صليبية ، كما وعده بفصل صقلية عن الامبراطورية ٠ولكنه عاد فأخذ يماطل في القيام بالحملة التي وعد بها ، كما توج ابنه هنري سنة ١٢٢٠ ملكآ ليخلف أباه في حكم صقلية والامبرطورية جميعآ مما ضايق البابوية وأفزعها (٤)٠ وفي سنة ١٢٢٠ تم تتويج فردريك الثاني امبراطورآ في روما بعد أن جدد

العهد بالقيام بالحملة الصليبية ٠ ويبدو ان فردريك لم يكن جادآ في مشروعه الصليبي في الوقت الذي كانت البابويه تتوق لارسال حملة صليبية على وجه إلسرعة لاصلاح الموقف الذي نجم عن فشل حملة حلسابرين على مصر (١٢١٩-١٢٢١) ٠وأخيرآ لجا البابا الى تشجيع فكرة زواج الامبراطور من الاميرة يولاند وريثة مملكة بيت المقدس ليجعل له مصلحه في الذهاب الى الاراضي المقدسة واسترداد بيت المقدس من المسلمين . وفعلآ تم الزواج سنة ١٢٢٥ ، ومع ذلك لم يخط فردريك الثاني خطوة جدية في سبيل تنفيذ وعده الصليبي (١)٠هذا الى أن فردريك الثاني لجأ بعد تتويجه إلى فرض قوانين مشددة على رجال الدين ترمى الى الحد من نفوذهم وانتقاص حقوقهم ، كما عقد مرتمر في كريمونا سنة ١٢٢٦ أعلن فيه تمسكه بحقوقه الامبراطورية كاملة في السيطرة على لمبارديا ، مما أفزع المدن اللمبارادية ، فجددت حلفها ضد الامبراطور وسدت ممرات الألب في وجهه . وكان صبر البابا هنريوس الثالث قد أوشك أن ينفذ عندئذ ، فأخذ يتأهب لتجديد الحلف بين البابوية والمدن اللهبارادية ، ولكنه توفي في مارس سنة ١٢٢٧ مما أجل فتح باب النزاع بين الامبراطورية والبابوية (٢)٠ وعلى الرغم من أن البابا الجديد جريجوري التاسع (١٢٢٧-١٢٤١) كان طاعنآ في السن ، الا أنه امتاز بأرادة حديدية لا تفل ، فلم يقبل الاعذار التي طالما انتحلها فردريك الثاني لتأجيل حملته الصليبيه ، وأصر على ضرورة رحيل الامبراطور الى الشرق فورآ (٣) ٠ وكان أن أبحر الامبراطور فعلا من برنديزى قاصدا الاراضي المقدسة،ولكنه عاد بعد ايام مدعيا المرض،مما جعل البابا يعتبر المرض تمارضا فأصدر قرار الحرمان ضد الامبراطور في ٢٩ سبتمبر سنة ١٢٢٧ (٤) . وهنا يجدر بنا أن نوضح مرة أخرى أن توقيع هذا القرار على الامبراطور لم يكن سببه مماطلة فردريك الثاني في تنفيذ وعده الصليبي

فحسب ، بل أيضآ تخوف البابوية من سياسة فردريك في ايطاليا بوجه عام وتجاه البابوية بوجه خاص (١)٠ ومهما يكن من أمر فان هذا الاجراء فتح باب النزاع على مصراعيه بين البابوية والامبراطورية ٠ وكانت ميلان مسؤله الى حد كبير عن فتح هذا الباب لأنها عارضت بشدة احياء النفوذ الامبراطوري في لمبارديا ، فجددت الحلف اللمباردي لمدة خمس وعشرين سنة جديدة تبدأ من سنة ١٢٢٦، كما أنها سدت ممرات الألب في وجه الجيوش الامبراطورية الوافدة من ألمانيا (٢)٠ أما البابا فقد أرسل رسله ومندوبيه الى كافة انحاء ايطاليا وألمانيا لابلاغ الناس القرار البابوي ضد الامبراطور وتحريضهم على الخروج عن طاعته. علي أنه يبدو أن الامبراطور فردريك لم يتأثر بتلك الدعوة ، وظل ثابتا في مركزه يرقب فشل عملاء البابا في تحريك الثورة ضده ، بل على العكس نجح دعاة الامبراطور في اثارة فتنة ضد البابا في روما مما اضطر جريجوري التاسع الى الفرار منها سنة ١٢٢٨ (٣)٠ وأخيرآ أدرك فردريك الثاني أن مصلحته تستدعي القيام بحملته الصليبية المزعومة حتى يبدو في ثوب المجاهد في سبيل الغرض الصليبي ، فوصل عكا على رأس قوة صغيرة في سبتمبر سنة ١٢٢٨ ٠ ويفهم من حوادث هذه الحملة الصغيرة أن فردريك الثاني لم يخرج الى الشرق بقصد الحرب ، وانما كان يبغى مفاوضة المسلمين للحصول على كسب سريع ٠ولم تلبث هذه المفاوضة أن انقلبت الى نوع من الاستعطاف ، وهو السلاح الوحيد الذي كان يملكه فردريك الثاني عندما قدم الى الشرق في بضع مئات من أتباعه٠ وتشير بعض المراجع المعاصرة الى أن فردريك كان يبكي في بعض مراحل مفاوضاته مع المسلمين عندما يتذكر أنه سيعود الى الحرب فاشلا ليواجه البابوية وبقية اعدائه في ايطاليا وألمانيا (٤)٠ ويفسر هذا الشعور رسالة أرسلها فردريك الثاني الى السلطان الكامل الأيوبي أثنا المفاوضات يقول فيها ،،أنا مملوكك وعتيقك ٠ وليس لي عما تأمره خروج ! وأنت تعلم أني أكبر ملوك البحر ، وقد علم البابا والملوك بأهتمامي وطلوعي ، فان رجعت خايبا انكسرت حرمتي بينهم ٠٠!(١(، .وهكذا استطاع فردريك الثاني أن يكسب عطف السلطان الكامل ، فعقدت معاهدة بين الطرفين سنة ١٢٢٩ سلم بمقتضاها الكامل بيت المقدس للامبراطور الذي استطاع أن يحقق نصرآ عجزت عنه بقية الحملات الصليبية الضخمة التي وفدت الى المشرق بعد استيلاء صلاح الدين على بيت المقدس سنة ١١٨٧ ٠ وكان أن دخل فردريك الثاني كنيسة القيامة في بيت المقدس حيث أعلن من ذلك المكان المرموق أن قرار الحرمان الذي أصدره البابا ضده باطل ! ،كما توج نفسه بيده داخل تلك الكنيسة (٢)٠وهنا نلاحظ أن تتويج الامبراطور لنفسه في هذه المناسبة له مغزى عميق ، اذ ربما أراد الامبراطور بذلك أن يعلن بطريقة صامتة في تلك الكنيسة ذات الأهمية العظمى أنه لم يتلق التاج الامبراطوري من رجال الدين ، وأنه تلقاه من الله مباشرة دون وساطة أحد من رجال الكنيسة ٠هذا وان كانت بعض المراجع المعاصرة تفسر تتويج الامبراطور لنفسه بأن رجال الدين في بيت المقدس امتنعوا عن تتويج امبراطور محروم من الكنيسة، مطرود من رحمتها (٣)٠ ومهما يكن من أمر فان اقامة فردريك الثاني لم تطل في الأراضي المقدسة ، اذ عاد سرعة الى ايطاليا ليجد قوات البابا جريجوري التاسع قد استغلت فرصة غيابه وأغارت على أملاكه في جنوب ايطاليا ٠ بل بلغ الأمر بالبابا أن أذاع خبر وفاة الامبراطور في الشرق ليضعف مركزه في ايطاليا وألمانيا ، واستغل هذه الفرية ليستولى على الأملاك الامبراطورية ، كما يتضح ذلك من رسالة بعث بها الامبراطور الى أحد أصدقائه المسلمين في الشرق بعد عودته (١)٠ لذلك وقع خبر وصول الامبراطور فردريك

الثاني الى ميناء برنديزي (يونيو١٢٢٩) وقع الصاعقة على البابا جريجوري التاسع ، الذي يبدو أنه كان يخشى هجوماً مسلحاً يقوم به فردريك الثاني على روما ، فأرسل سنة ١٢٢٩ عدة رسائل الى كبار الأساقفة يأمرهم بسرعة الحضور ومع كل منهم قوة مسلحة للدفاع عن الكنيسة الرومانية ضد هجوم الامبراطور المتوقع (٢)٠ وأخيراً لم يجد البابا مفراً من الاعتراف بما حققه الامبراطور من مكاسب للمسيحية باسترداده بيت المقدس ، فعقد صلح سان جرمانو سنة ١٢٣٠ مع الامبراطور ، وبمقتضاه رفع عنه قرار الحرمان مقابل تعهده بحماية أملاك البابا والاعتراف بحق البابوية في السيادة على صقلية (٣)٠ ومن الواضح أن صلح سان جرمانو لم يتعرض لأسباب الخلاف الحقيقية بين البابا والامبراطور ، لذلك لم يكن هذا الصلح أكثر من هدنة مؤقتة بين الطرفين ٠ ومهما يكن من أمر ، فان فردريك الثاني استغل هذه الهدنة لتقوية نفوذه في جنوب ايطاليا وصقلية ٠ وهنا يظهر المتناقض الشديد بين سياسة الامبراطور في ايطاليا وسياسة في ألمانيا ، اذ بينما هو يعمل على توطيد نفوذه في ايطاليا عن طريق اضعاف الأمراء الأقطاعيين ، اذا به يعتمد على أمرائه ----------

) -١ (أرسل الامبراطور فردريك الثاني رسالة بعد عودته الى ايطاليا الى الأمير فخر الدين ، رسول السلطان الكامل في المفاوضات بينه وبين فردريك قبل تسليم بيت المقدس ٠ وفي هذه الرسالة الطريفة يحكى الامبراطور لصديقه المسلم ما فعله البابا في غيابه، فضلاً عما توضحه الرسالة من شعور عدائي متبادل بين البابوية والامبراطورية عندئذ ، فيقول « بسم الله الرحمن الرحيم ، من قيصر العظيم امبراطور رومية فردريك ٠٠٠ وبعد علمنا أنه محب لسماع السار من أنبائنا ٠فنشعره أن البابا باء بالغدر والخديعة ٠ أخذ أحدى قلاعنا المنيعة ٠واضطر الى أن زعم أننا متنا وحلف القرذنالية (الكرادلة) على ذلك ، وعلى أن رجوعنا مستحيل ، وراوضوا العامة بمثل هذه الأباطيل ، وأنه ليس أحد بعدنا يحسن جراية بلادنا وحفظها برسم ولدنا مثل البابا ٠٠٠«

أنظر المكتبة الصقلية ج٢ ص٣٤ الباب ١٠٣ من التاريخ المنصوري تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان لأبي الفضائل الحموي ٠

الألمان في امداده بالقوة اللازمة لتنفيذ سياسته الايطالية (١)٠ لذلك اضطر الامبراطور الى ترك الحبل على الغارب بالنسبة للامراء الألمان ، مما أدى الى تقويض نفوذ الهوهنشتاوفن في ألمانيا ، لا سيما في ذلك الوقت الذي أخذت المدن الألمانية تنمو لتتحول الى قومونات ذات نفوذ سياسي واقتصادي مستقل ٠ وفي تلك الاثناء كانت المدن اللمباردية ترقب بعين القلق ازدياد نفوذ الامبراطور في ايطاليا ، مما دعى الى تجديد الحلف فيما بينهما سنة ١٢٣٢ لمواجهة هذا الخطر المشترك (٢)٠ ولم تلبث تلك المدن أن ثارت ضد الامبراطور الذي اعتمد على معونة كبار الأمراء الاقطاعيين حتى تمكن من انزال هزيمة بقوات الحلف اللمباردي عند كورتنوفا قرب ميلان سنة ١٢٣٨ ، وبذلك ثأر فردريك الثاني لما حل بفردريك الأول في لينانو سنة ١١٧٦ (٣) ٠ويبدو أن هذه الهزيمة أثارت شعور اليأس عند كثير من المدن التي أسرعت الى عقد الصلح مع الامبراطور ، بل ان ميلان نفسها عرضت حل الحلف اللمباردي الذي اصبح لا يضم سوى ست مدن ، ولكن فردريك أصر على أن يكون استلام ميلان غير مشروط بقيد ، وبذلك أضاع فرصة طيبة للوصول الى تسوية سرية سريعة (٤)٠ ذلك أن البابا جريجوري التاسع كان قد استعد للدخول في نضال جديد مع الامبراطورية ، ولا سيما أن

الاستياء بلغ به حدآ كبيرآ عندما أخذ فردريك الثاني - عقب انتصاره على المدن اللمباردية سنة ١٢٣٧ - يتصل بأهالي روما ويحرضهم على الثورة ضد البابا (٥)٠ وفي سنة ١٢٣٨-١٢٣٩ أصدر البابا جريجوري التاسع قرار الحرمان -للمرة الثاني -ضد الامبراطور فردريك الثاني ، كما حرض رعاياه على الثورة ضده ، بل بلغ الأمر بالبابا أن عرض تاج الامبراطورية على أخ لملك فرنسا ، ولكن لويس التاسع لم يهتم بنداء البابا الذي وجهه اليه في أكتوبر سنة ١٢٣٩ ، واختار أن يحترم اتفاقية الصداقة التي عقدتها أمه بلانش مع الامبراطورية (١)٠ أما جهود البابا في اثارة المتاعب ضد الامبراطور بألمانيا فقد منيت كلها بالفشل ، مما مكن الامبراطور من مواصلة الحرب ضد البابوية في ايطاليا ، وهو مطمئن تماما الي ناحية الجبهة الألمانية ٠ وكان البابا يظن أنه يستطيع باكتساب القوى البحرية - جنوا وبيزا والبندقية - الى جانبه ، أن يشن هجومآ على صقلية ليقضي على المركز الرئيسي لفردريك ، ولكن الهزيمة التي حلت باسطول جنوا سنة ١٢٤١ خيبت أمله (٢)، في حين أخذت القوات الامبراطورية تهاجم الأراضي والمدن الموالية للبابا في أواسط ايطاليا ، فاستولت على أنكونا ودوقية سبوليتو ، كما أصبح الامبراطور ستيد رافنا وفاينزا ، بل أنه استولى على بعض المدن الشديدة القرب من روما مثل فوليجنو وفيتربو بحيث أنه لم ينقذ البابا عندئذ سوى بقاء أهالي روما على ولائهم له (٣)٠ وأخيرا لم يجد البابا وسيلة لاحراج مركز فردريك الثاني في أوربا كلها سوى عقد مجمع ديني في روما يشترك فيه كبار رجال الدين بالغرب لانزال اللعنه بالامبراطور ٠ وفعلا لبى دعوة البابا فريق من أساقفة شمال ايطاليا وفرنسا وأسبانيا واجتمعوا في ربيع سنة ١٢٤١ في جنوا استعدادا للابحار منها الى روما ٠ ولكن عددآ كبيرآ من مدن ايطاليا البحرية - وعلى رأسها بيزا - كانت موالية للامبراطور ، واستطاعت هذه القوة البحرية أن تتصيد السفن الجنوية التي تنقل الأساقفة الوافدين لحضور المجمع البابوي ، مما أوقع معظمهم في أسر الامبراطور وأدى الى فشل مشروع البابا (٤)٠ ولم ينقذ هؤلاء الأساقفة من قبضة الامبراطور سوى تهديد لويس التاسع ملك فرنسا باعلان الحرب ، وعندئذ أطلق فردريك الثاني سراحهم ، وكان ذلك في الوقت نفسه الذي توفى البابا جريجوري التاسع (أوغسطس ١٢٤١) وهو في الثامنة والتسعين من عمره (٥)٠

وقد اعقد جريجوري التاسع في منصب البابوية كلستين الرابع ، ولكنه توفى في العام نفسة (سنة ١٢٤١) وعندئذ تعذر انتخاب بابا جديد ، فظل كرسي البابوية شاغرا مدة سنة ونصف - بسبب دسائس فردريك الثاني - حتى اختير أنوسنت الرابع في يونية سنة ١٢٤٣ (١) . وفي تلك الأثناء كانت المحادثات دائرة بين الفريق الأمبراطوري من جهة والبابا جريجوري التاسع ثم أنوسنت الرابع من جهة اخرى للوصل الى اتفاق ينهي حالة النزاع بين الطرفين ، ولكن هذه المحادثات منيت بالفشل مبه بعد اخرى لا صطدامها بصخرة واحده هي تمسك البابوية بالسيطرة على الموقف بين فردريك والمدن اللمباردية ، في حين كان فردريك مستعدا للتساهل في كافة المشاكل الكنسيه المعلقة دون أن يسمح للبابا بالتدخل في حنوقه الأمبراطورية في لمباردیا (٢) . وكان أن صمم أنوست الرابع على مواصلة سياسة جريجوري التاسع تجاه الامبراطورية ، مما جعل قوات الأمبراطور - من المسلمين الذين استعان بهم وأسكنهم في جنوب ايطاليا - تهجم على الأراضي البابوية . وقد اضطر البابا ازاء

هذه الأخطار الى الفرار من روما سنة ١٢٤٤ الى جنوا ومنها الى فرنسا حيث عقد مجمعا دينيا في ليون سنة ١٢٤٥ لبحث المشاكل الكبرى التي تواجه الكنيسة ، وعلى رأسها مسألة النزاع مو الأمبراطوري (٣) . وقد قرر ذلك المجمع عزل فردريك من منصبه على أن يختار من يحل محله في هذا المنصب . ويبدو أن فردريك الثاني أدرك خطر هذا القرار فأصدر نداء الى ملوك أوربا وحكامها ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئآ من أجله واكتفوا بأظهارالعطف المقرون بالحرص والتحفظ الشديدين ، على الرغم من أن هولاء الملوك كانوا يواجهون الخطر نفسه في بلادهم نتيجة لازدياد نفوذ الكنسيه ورجالها (٤) . وقد أدرك أنوسنت الرابع بعد الأنتصارات التي أحرزها فردريك الثاني في ايطاليا أنه لن يستطيع كسب المعركة ضد الأمبراطورية في ايطاليا نفسها ، فأخذ يوجه جهوده منذ سنة ١٢٤٥ نحو ألمانيا لتنظيم عناصر المقاومة الداخلية ضد الامبراطور ٠ وعلى الرغم من أن عددآ كبيرآ من أساقفة ألمانيا وأمرائها قرروا سنة ١٢٤٦ اختيار أمير ثورنجيا ملكآ على ألمانيا ، الا أن غالبية ألمانيا ظلت على ولائها للامبراطور في الوقت الذي أخذ فردريك الثاني يستغل كل أداة توصله الى غرضه ٠ وكان الصراع عنيفا ـ وبصفة خاصة في الأراضي الايطالية ـ في تلك المرحلة الأخيرة من مراحل النزاع بين البابوية والامبراطورية ، فبذل البابا جهودآ قوية للحيلولة دون قيام وحدة امبراطورية متصلة تمتد من ألمانيا شمالآ حتى صقلية جنوبآ مما يهدد البابوية تهديدآ خطيرآ (١)٠ ويبدو أن الفريق الامبراطوري أحرز تفوقآ ملحوظآ بين سنتي ١٢٤٥ ،١٢٥٠ حتى بات الامبراطور يحلم بعبور جبال الألب الى ليون حيث يقيم خصمه أنوسنت الرابع (٢)٠ ولكن فردريك الثاني فوجئ باشتعال نار الثورة في بارما ١٢٤٧ ، حتى استطاع أهالي هذه المدينة احراز انتصار كبير على القوات الامبراطورية في العام التالي ٠ ويعتبر هذا الحادث نقطة تحول خطيرة في تلك المرحلة من مراحل النزاع بين البابوية والامبراطورية ، اذ سرعان ما أخذ التيار يتحول بسرعة ضد الامبراطورية فثار أمراء أبوليا في جنوب ايطاليا ، كما اشتدت مقاومة المدن العادية للامبراطور في شمالها (٣)٠ حقيقة ان الحظ ابتسم مرة للامبراطور فردريك الثاني سنة ١٢٥٠ عندما انتصرت قواته في شمال ايطاليا ، كما جاءت الأخبار من ألمانيا بانتصار ابنه كونراد على غريمه وليم أمير هولندا الذي اختارته البابوية ملكآ على ألمانيا (٤)٠ولكن لم يكن لهذه الانتصارات أية ثمرة نتيجة لوفاة الامبراطور فردريك الثاني في ديسمبر سنة ١٢٥٠ وهو في طريقه من جنوب ايطاليا الى شمالها ٠ وبوفاة فردريك الثاني انتهت الصفة العالمية للامبراطورية الرومانية المقدسة ،لأنه كان في الواقع آخر الأباطرة العظام الذين تمسكوا بالعقيدة الامبراطورية وأصروا على سمو الامبراطورية وطابعها العالمي (١)٠ واذا كنا في حديثنا عن الصراع بين البابوية والامبراطور فردريك الثاني قد تعمدنا عدم الاستطراد الى مختلف التطورات التي أخذت تسرى في جوف الامبراطورية، وذلك لعرض الصراع في صورة متصلة الحلقات ، الا أن ذلك لا يعني الاقلال من شأن هذه التطورات وأثرها ٠ وأول ما نلاحظه أن حوادث النزاع بين الامبراطورية والبابوية صرفت الأباطرة عن ألمانيا وشئونها ، مما ادى الى ازدياد نفوذ السلطات المحلية ٠ ونخص بالذكر فردريك الثاني الذي جعل لصقلية وايطاليا المكانة الأولى في برنامجه ونشاطه ، مما زاد من أهمية العنصر الايطالي في الحكومة الامبراطورية وذلك طبعآ على حساب ألمانيا ٠ ولا عجب ، فان فردريك الثاني اعتبر نفسه صقليا قبل أن يكون ألمانيا حتى أنه لم يمض في ألمانيا سوى تسع سنوات من حكمه الطويل

الذي امتد من سنة ١٢١٢ حتى سنة ١٢٥٠ (٢) ٠ على أنه من الملاحظ أن هذه الاوضاع لم تعرقل بأي حال التطور الحضاري الذي أسرعت ألمانيا في طريقة وقتئذ ، فانتعشت التجارة حتى أصبحت ألمانيا مركزآ عالمياً للتجارة في غرب أوربا وأخذت تظهر أهمية كثير من المدن التي ازدهرت فيها الآداب والقانون والنشاط التشريعي ، كما ظهر بعض الشعراء الألمان الذين حباهم فردريك الثاني بقسط من رعايته ٠ وفي ذلك الوقت استمر النفوذ الألماني في اتساعه شرقآ وشمالآ حتى أصبح للألمان سيطرة على أراضي البلطيق والدانمرك فضلآ عن العناصر السلافية في الشرق (٣)٠ ومهما يكن من أمر ، فاننا نكرر القول بأن الامبراطورية الرومانية المقدسة قد انتهت من الوجهة العملية بوفاة الامبراطور فردريك الثاني سنة ١٢٥٠، وأن ظلت اسميا حتى القرن التاسع عشر ٠ وقد حدث أن توفى كونراد الرابع ابن فردريك الثاني سنة ١٢٥٤ ، وأعقبت ذلك فترة استمرت عشرين سنة ظلت ألمانيا طوالها مسرحآ للمنازعات والحروب الأهلية دون امبراطور يحكمها أو يسوس شئونها مما جعل هذه الفترة تعرف بعصر الشغور في التأريخ الألماني ٠ وهكذا يبدو لنا في وضوح كيف ذهبت الملكية ضحية فكرة الامبراطورية العالمة، اذ ضحى ملوك ألمانيا بمستقبل بلدهم السياسي القومي في سبيل تمسكهم بسراب الامبراطورية الرومانية العالمية وجريهم وراء مشروعات فاشلة في ايطاليا (١)٠ ولا شك في أن المدن الألمانية استفادت من ذلك الوضع فائده كبرى ، اذ أخذ كثير منها يخطو خطوات واسعة في سبيل الانتعاش الصناعي والتجاري والاستقلال السياسي (٢)٠٠ وقد شعرت هذه المدن بحاجتها الى الترابط للمحافظة على حريتها واستقلالها مما أدى الى مولد « عصبة الراين » حوالي سنة ١٢٥٤ التي تألفت من عدة مدن أهمها مينزوورمز وبازل وستراسبورج ، كما أن التحالف الذي تم بين هامبورج وليوبك حوالى ذلك الوقت وضع أساس العصبة الهانزية.

أما قصة النزاع بين البابوية الامبراطورية فقد انتهت على هذا الوجه السلبي بعد أن عجز الأباطرة عن اخضاع البابوية وادخالهم تحت سيطرتهم ٠ ومن السهل الوقوف على أسباب انتصار البابوية ، اذ ظل الأباطرة يستندون الى أحلام الماضي ومجد أسلافهم القدامى ، دون أن يحسبوا حساباً لروح العصور الوسطى ـ عصور الايمان والدين ٠ أما البابوات فكانوا يستندون الى دعائم أقوى وأكثر تغلغلا في نفوس الناس ، لأنهم استمدوا قوتهم من نفوذهم الروحي وما للدين من سلطان كبير على قلوب الأفراد ٠ وحسب البابوات قوة أن ينادوا بأنهم خلفاء المسيح في الأرض وأن بأياديهم مفاتيح الجنة والنار ٠ فاذا كان الأباطرة يسيطرون على الدنيا فان هذه الدنيا ليست الا عرضا زائلآ لا يلبث أن ينتهي بالموت ، وعندئذ تصبح الكلمة في حياة البقاء والخلود للدين ولأهل الدين ٠ ويكفي قول المسيح للحواريين « الحق أقول لكم كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطآ في السماء ، وكل ما تحملونه على الأرض يكون محلولا في السماء » (١)٠